BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

USÛLÜ'D-DÎN'DE MUHAMMED SAİD RAMAZAN EL-BÛTÎ'NİN MÜLHİTLERE REDDİYESİ

Hazırlayan
Mahmood Khalid HUSSEIN

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman
Doç. Dr. Abdulnasır SÜT

Bingöl – 2019

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

USÛLÜ'D-DÎN'DE MUHAMMED SAİD RAMAZAN EL-BÛTÎ'NİN MÜLHİTLERE REDDİYESİ

Hazırlayan

Mahmood Khalid HUSSEIN

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman

Doç. Dr. Abdulnasır SÜT

Bingöl – 2019

الجمهورية التركية
جامعة بنكول
معهد العلوم الاجتماعية
قسم إلهيات

ردّ محمد سعيد رمضان البوطي على الملاحدة في أصول الدّين

إعداد الطالب
محمود خالد حسين

رسالة ماجستير

بإشراف
الأستاذ المشارك عبد الناصر سوت

بنكول -2019

المحتويات

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ II
المقدمة IV
ÖZET VI
ABSTRACT VII
الملخص VIII
الاختصارات IX
المدخل 1
الفصل الأول
مفهوم الإلحاد في الفكر الإسلامي
1- مفهوم الإلحاد في الفكر الإسلامي 9
1. 1. الإلحاد لغة واصطلاحاً 9
1. 2. المصطلحات التي تتعلق بالإلحاد 13
2. أنواع الإلحاد. 19
1.2 تنوع الإلحاد الى خمسة أنواع 19
2..2 تأريخ الإلحاد 25
2. 3. من الإلحاد الجديد الشيوعية والماسونية 39
الفصل الثاني
رد البوطي رحمه الله على النظريات الإلحادية
2. ردّ البوطي رحمه الله على النظريات الإلحادية 49
2. 1. ردّ البوطي على المادية الجدلية والمادية التأريخية 49
2. 1. 1. ردّ البوطي رحمه الله على المادية الجدلية 49
2. 1. 2. ردّ البوطي على المادية التأريخية: 56
2. 2. ردّ البوطي على نظرية التطور والنظرية اللاماركية 60
2. 2. 1. رد البوطي لنظرية التطور وكيفية بدايته 60
2. 2. 2. ردّ البوطي على النظرية اللاماركية 66
2. 3. ردّ البوطي على ظاهرة العلمانية: 72
2. 3. 1. ظاهرة العلمانية في المجتمع الإسلامية 72
2. 3. 2. ردّ البوطي رحمه الله على العلمانية وقولهم الحل الوحيد لمشاكل المجتمع العلمانية: 77
الخاتمة 84
المصادر والمراجع 86

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans Tezi olarak hazırladığım ***Usûlü'd-Dîn'de Muhammed Said Ramazan el-Bûtî'nin Mülhitlere Reddiyesi*** adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

…/ 06 / 2019

Mahmood Khalid HUSSEIN

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Mahmood Khalid HUSSEIN tarafından hazırlanan *Usûlü'd-Dîn'de Muhammed Said Ramazan el-Bûtî'nin Mülhitlere Reddiyesi* başlıklı bu çalışma, 24.06.2019 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *[oybirliği]* başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri/Kelam Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ

Başkan	: Dr. Öğr. Üyesi Abdullah ARCA	İmza: .....
Danışman	: Doç. Dr. Abdulnasır SÜT	İmza: .....
Üye	: Dr. Öğr. Üyesi Naim DÖNER	İmza: .....

ONAY

Bu Tez Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun …./…./2019 tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Doç. Dr. Yaşar BAŞ
Enstitü Müdürü

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلوات والسّلام على سيّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من سار على طريقه وتمسك بسنّته وأهدى بهديهِ الى يوم الدّين.

إنّ البوطي من العلماء الدعاة في سوريا ،وله باع طويل من العلم والعمل، وله إمكانيات كبيرة من خلال خطابه وكلامه المتنوّع في شتى الجوانب وخاصة في كسب الأصدقاء والاتصال مع الجمهور، لهُ جماهير كثيرة في سوريا وفي العالم الإسلامي رغم تنفره من الإسلام السّياسي والحركي حسبما فهمت من مقالاته ومكتوباته الدّعوية، وله مهارة عجيبة من العلوم الآليّة والعقلية والنقلية اخذهُ من والده ملا رمضان، كما هو تلميذ ذكيّ في مدرسة عبدالرحمن حبنّكة الميداني، وله بلاغة في المجادلة مع من يجادله من المعاندين والمخاصمين، مبدع في أفكاره وآرائه سلس العبارة في كتابته، رقيق النّفس مع النّاس في محاوراته، وله صراع ساخن مع الملاحدة عموماً وخاصة مع الملحد المخاصم له (طيب تيزيني) وأصدقائه من الملاحدة، وله ردود قيّمة للملحدين المعاصرين والغابرين، وحسّ بمسؤليته نحو هجمات الملحدين على عقيدته ومقدّسات الإسلام والمسلمين.

لذا قام البوطي رحمه الله بالردّ القادح على الملاحدة بالحجج العلمية والبراهين المنيرة بادلة عقلية ونقلية، وهَدَفي في هذا البحث تسليط الضوء على جهود البوطي في الردّ على الملحدين، وظاهرة الإلحاد المعاصرة.

كذلك بينتُ في هذه الدراسة أن البوطي توصل وتحصل الى أهم أسباب الإلحاد في العصر الحاضر، والتي هي الكنيسة الأوربية ومظالم العالم الرأسمالي، وظهور المذاهب الإقتصادية الإلحادية، واقتران الإلحاد بالقوة المادية، وضعف النظام التربوي للناشئ والأسباب العلمية والفكرية المعاصرة، وكيف ان البوطي بيّن أهم الآثار السلبية للإلحاد المعاصر. كما حاول تقديم الحلول الإسلامية لمعالجة ظاهرة الإلحاد وسلبياته المدمرة.

لأن الإلحاد ثؤلول كبير على جسد العالم الإسلامي، إن لم يقطع اصله وجزره ينتشر أكثر مما كان، إن مشكلة الإلحاد لم تكن موجودة كهذه في العصور الماضية ولكن ظهرت وإنتشرت في الآونة الأخيرة بواسطة عدم إهتمام المسلمين بعقيدتهم وبسدّ هجمات الإلحاد والملحدين على الإسلام

مع علمهم بتحرك الإلحاد والمادية تجاه الإسلام والمسلمين وبجهود علماء المسلمين في تاريخ السلام انهارت سدود التقاليد والأفكار والعادات الجاهلية الشنعاء امام الإسلام ولم يقول احد آنذاك ان نظام الإسلامي لايصلح ان يعتمد عليه في حياة مجتمع عصري او دولة عصرية كما يقول ملاحدة زماننا وبالتحقيق إنّ ملاحدة زماننا أشدُ عداوة من عداوة كفرة الجاهلية أسئل الله تعالى ان يبارك لي في الجهود وأن يغفر الزّلل والتقصير، ورغم محاولتي لإبداءِ رأيي في كلّ مقطع، إلاّ أنني إعتمدت على النّقل أكثر في تاريخ الفرق الاحادية وقد حرصت كثيراً إيجاز البحث على نمطكم المقرّرة.

ووفاء لأهل الفضل وعرفاناً بالجميل لايسعني إلا ان اتقدم بخالص شكري وتقديري الى الاستاذ المشرف فضيلة الاستاذ عبد الناصر سوت، الذي بذل كلّ جهده في مساعدتي لإخراج وترتيب هذا البحث بهذه الصّورة التي خرج بها على الرغم من ضيق وقته وكثرة مشاغله الدّراسية، وللأساتذة الأجلاء الذين بذلوا جهدهم معنا لنيل الإستفادة من علومهم وسلوكهم المباركة. في جامعة بنكول، قسم الإلهيات. وأسئل الله تعالى أن يغفر زلآتنا وتقصرنا، راجياً توفيقه، وأن أصبت فمن الله تعالى، وأن أخطأت فمن نفسي ، وأقول بما قاله الحريريُّ:

وإن تجد عيباً فسدَّ الخللا، فجُلُّ من لا عيب فيه وعلا.

ÖZET

Bu çalışma genel olarak Muhammed Said Ramazan el-Butî'nin ilhada yönelik anlayışını ve mülhitleri ele almaktadır. İlhad, bütün İslam Dünyası için büyük bir felaket ve ur konumundadır. Kuşkusuz birçok Doğu ve Batı ülkesi, yenilgiye uğramış sosyalizm ile laikliğin şekillendirdiği ilhad ile boğuşmaktadır. Allah'ın varlığını inkâr eden çağdaş mülhitler birçok toplum üzerinde derin etkiler bırakmıştır. Hatta bazı dindarların ilhada sempati duymalarına yol açmışlardır. Böyle bir dönemde Ramazan el-Bûtî'nin akli ve nakli delillerle onların iddialarını çürütmeye çalışmış olması çok önemlidir. Bûtî'nin varoluşçuluk, masonluk, laiklik ve sosyalizm gibi ilhâdî akımları hangi yöntemlerle çürütmeye çalıştığı ele alınmıştır. Bûtî, mülhitleri reddederken nakli ilimlerle birlikte psikoloji, sosyoloji, fizik ve biyoloji gibi birçok akli ilimlerden de yararlanmıştır.

Bu çalışma Said Ramazan el-Bûtî'nin çağdaş mülhitlere ve ilhad düşüncesine yaptığı reddiyeleri ortaya çıkarmayı ve insanları onların tehlikelerine karşı uyarmayı hedeflemektedir. Bunun amacı ise insanların söylem ve eylemlerinde onlara karşı dikkatli olmalarını sağlamaktır. Çünkü Müslümanların İslam'dan yüz çevirmeleri ve dağılmalarının esas nedeni, mülhitlerin aşırı ilhadî görüşleridir.

Anahtar Kelimeler: İslam Akidesi, İlhad, Varoluşçuluk, Sosyalizm, Ramazan el-Bûtî

ABSTRACT

This study mainly deals with the notion of ilhad/atheism and mulhîd/atheists according to Mohammad Saed Ramadan al-Bouti. Ilhad/atheism is a great disaster and problem for the whole Islamic world. Undoubtedly, many Eastern and Western countries are struggling with the defeat of socialism and secularism. The contemporary deniers, deny the existence of God, have deeply affected on many societies. In fact, some religious people were impressed by their atheist views. In such a period, it is very important that Ramadan al-Bouti tried to refute their claims with the evidence of reason and revelation. It is discussed that how al-Bouti refuted those movements such as existentialism, masonry, secularism and socialism. While rejecting the non-believers, al-Bouti benefited from many intellectual sciences such as psychology, sociology, physics and biology as well as religion sciences.

This study aims to reveal the rejections of Ramadan al-Bouti to contemporary atheists and the idea of atheism and to warn people about of their thoughts. The purpose of this is to ensure that people warn against of their discourse and actions. The main reason why Muslims turn away from Islam and dissipate is extreme views of non-believers.

Key Words: Islamic Creed, Ilhad/Atheism, Existentialism, Socialism, Ramadan al-Bouti

الملخّص

يتناول هذا البحث مفهوم الإلحاد والملحدين عند محمد سعيد رماضان البوطي بصورة موجزة، إنّ الإلحاد داهية كبيرة وثؤلول كبيرة في جسد العالم بأجمعه، ومما لا شك فيه أنّ كثيراً من دول العالم الشّرقي والغربي تعاني من هيمنة إلحادية عارمة جسّدتها الشيوعية المهزومة والعلمانية المحرومة. إن الملحدين المعاصرين ينادون بعدم وجود إله، ولهم تأثير كبير على المجتمعات كثيرًا حتى تسببوا في تحوّل بعض من أصحاب الديّانات إلى هذا الإلحاد، ولذا قام رمضان البوطي بالردّ على الملاحدة بالحجج النقلية والعقلية. ونهدف في هذا البحث تسليط الضوء على جهود البوطي حسب الأمكان في الردّ على الملحدين وظاهرة الإلحاد المعاصروطريقة ردّه على المذاهب الإلحادية المعاصرة وهي الشيوعية والماسونية، والعلمانية والوجودية وغيرهم من المذاهب الإلحادية. وعندما رد البوطي الملاحدة تعرض لكثير من العلوم العقلية كالنفس والاجتماع والفيزياء والبيولوجياء إلى جانب العلوم النقلية.

تهدف هذه الدّراسة كشف ردود البوطي عن الإلحاد في العصر الحاضر والتّسدي لنظرياتهم وتنبيه النّاس لمكائدهم وخداعهم حتى يكونَ النّاس على بصيرة وعلم فيما يفعلون ويقولون أمام أعين النّاس. لأنّ مأساة إعراض المسلمين عن إسلامهم وتفرقّهم وتشتّتهم من ثمرة أيد الملحدين والإلحاد المتمرّدة.

الكلمات المفتاحية: العقيدة الإسلامية، الإلحاد، الوجودية، الشيوعية ، البوطي.

الاختصارات

بعض الرموز للبيان والإختصار

د	: دكتور
د.س.ط	: دون سنة الطبع
ت	: تاريخ الوفاة
تح	: تحقيق
ط	: طبعة
ص	: صفحة
ج	: جلد
م	: ميلادي
هـ	: هجري

المدخل

قبل أن نخوض في موضوعنا الأصلي وهو "رد البوطي على الملاحدة في أصول الدين" نريد أن نذكر في المدخل أهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيارى للموضوع، ومنهجى فيه، وزبدة عن حياة البوطي.

الأول: أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة الى معرفة:

1. مفهوم الإلحاد وتأريخ ظاهرة الإلحاد المعاصرة.
2. انواع المذاهب الإلحادية التي تصدى لها البوطي.
3. اسباب الإلحاد في العصر الحاضر وآثاره.
4. الحلول الإسلامية لظاهرة الإلحاد، والتي بيّنها البوطي، وطريقة البوطي في الرّد على شبهات الملحدين.
5. بيان مفهوم العقيدة الصحيحة، ولتوضيح كيفية مواجهة العقائد الفاسدة.
6. لاثبات دور العقيدة الإسلامية في مقاومة التفرقة ودور نزعة الإلحاد في تصنيع التشتت.

1: أسباب اختيار الموضوع

* المساهمة في توضيح وتفسير مساويء الإلحاد.
* المساهمة في الرّد على الإلحاد والملحدين وآرائهم الباطلة
* المساهمة في بيان ضلالة هذه المذاهب الإلحادية.
* التركيز على أن الذوبان والتبعية والتشرد والضياع والاستراد السهل للمباديء، هي أخطر ما يواجه اية عملية تطور وتقدم.

ومما دفعني لكتابة هذا البحث تراكم الأحداث والوقائع والتطورات على ساحة عالم المسلمين واتهام الإسلام بالإرهاب، فأردت ان ابيّن من خلال هذا البحث سماحة الإسلام والإرهاب الغربي.

2: منهج البحث

1. يرى الباحث بأنه سيتبع منهج البوطي، وهو المنهج الوصفي التحليلي، والذي يهتم بوصف الجوانب المتنوعة لإبعاد ظاهرة الإلحاد، بهدف التوصل الى تصور مقترح لآليات تحد من هذه الظاهرة بالإعتماد بعد الله تعالى على مؤلفات البوطي وعلى المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع، حيث أن المنهج التحليلي يصف الواقع، ويعني بمعرفة الحقائق التفصيلية عن واقع الظاهرة.

2. التوثق والتأكد من صحة نسبة الاقوال.

3. الإعتماد على الكتب القديمة والحديثة.

4. الرجوع الى مصادر العقائد المبحوثة.

5. الإعتماد على مواقع الأنترنت والمجلات والوثائق الموثوقة.

6. يعتمد على الادلة المتنوعة من النصوص الشرعية والأدلة العقلية.

7. عزو الايات القرآنية الى اماكنها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم السورة ورقم الآية.

8. تخريج الأحاديث في كتب السنة.

9. التعريف بالالفاظ الغريبة.

10. التجرد للحق، ونبذ الهوى والتعصب.

11. الإحتفاظ بالأمانة العلمية

3: دراسات حول الموضوع

بعد البحث والتحري لم أجد دراسة علمية عن رد البوطي على الملاحدة في أصول الدين، لكن هناك دراستان علميتان:

الأولى تحدثت عن منهجية الدعوى، وهي بعنوان: منهج الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في الدعوة الى الله. وهي رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الأزهر، إعداد: خالد عبدالسّميع عبد الله. ولم يتسنَّ لي الإطلاع على هذه الرسالة.

الثانية: تحدثت عن آراء البوطي الإعتقادية. وهي بعنوان: الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وآراؤه الاعتقادية. وهي رسالة ماجستير من كلية الدراسات العليا قسم أصول الدين، فرع العقيدة، جامعة الخليل. إعداد: سمير روبين عبد الحليم الجعبري.

الثاني: نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة البوطي رحمه الله

ولد محمد سعيد رمضان البوطي في قرية جليكا التابعة لجزيرة بوطان (ابن عمر) الواقعة في تركيا قرب حدود العراق في عام 1929م. وفي عام 1933، هاجر مع والده ملاّ رمضان البوطي (1888- 1990)، الى دمشق، وله من العمر أربع سنوات. وقطن مع أسرتهفي سفح جبل قاسيون (حيّ ركن الدّين)، وفي عام 1935عهد به والده الى امرأة فاضلة كانت تعلّم الأطفال قراءة القرآن، فأعتنت به ولقنته القرآن على الوجه السّليم، وختم الكتاب الكريم خلال ستة أشهر ثم عهد به الى مدرسة ابتدائية خاصة، في زقاق القرفاني كانت تعني بتعليم الدّين واللغة العربية والرّياضيات.

في عام 1942 توفّيت والدته بعد مرض عانت منه سنوات عدة. وكان له من العمر آنذاك ثلاثة عشر عاماً. وفي العام نفسه، التحق البوطي بجامع منجك وفيه بضعة طلبة يدرسون العلوم الشّرعية على يد الشّيح حسن حبنكة الميداني.

في العام 1947، وقد بلغ البوطي الثامنة عشرة من عمره، اصر والده على ان يزوّجه، لأنه كان يميل الى القول بوجوب تزويج الوالد ابنه، إذا بلغ مبلغ الرجال، وفي عام 1953، أنهى دراسته الثانوية الشرعية في جامع منجك الّذي تحوّل الى (معهد التوجيه الإسلامي). وتعتبر هذه الفترة من السّنوات التأسيسية في حياته العلمية. وفي خلال عام 1953 استدعي البوطي الى الخدمة العسكرية الإلزامية، ولم يكن امامه من سبيل للتأجيل سوى ان يواصل دراسته على مستوى جامعي مقبول، فكان أن التحق باحدى كليّات الأزهر الشريف. حصل على الشهادة العالمية (اللسانس) من الأزهر عام 1375هـ/ 1955م.

وانتسب الى كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، ونال (دبلوم) التربية في نهاية ذلك العام. بنهاية سنة 1956، عاد الى دمشق ملتزماً بما قد اخذه عن ابيه وكانت وزارة التربية اعلنت عن مسابقة لوظائف تدريس التربية الدّينية في المدارس الإعدادية والثانوية، واقبل عليه جميع المعارف والأصدقاء يهيبون به ان يشترك في المسابقة، لكنه رفض باصرار عجيب، ولم يشأ ان يطّلع والده على هذا الضغط الّذي يلاحقه. وكان عذره الّذي واجههم به ان اباه اخذ عليه ميثاقاً ان لايلتزم بأي وظيفة. وقد عاهده على ذلك إلاّ انّ والده عاد وغيّر رأيه في العام التالي، واذن لإبنه ان يشترك في المسابقة، فنجح ودخل سلك التدريس عام 1957. وفي عام 1958تأثر بمناخ الوحدة بين مصر وسوريا بقيادة جمال عبد الناصر، كتب مقالات ثم نشرها فيما بعد في اوّل كتاب صدر له تحت عنوان (في سبيل الله والحق). درّس مادة التربية الإسلامية في حمص بين اعوام 1958- 1960، حيث أمضي فيها مايقارب ثلاث سنوات ثم انتقل الى محافظة القنيطرة، ثم الى دمشق: ليدرّس في دار المعلمين، حيث وضع اسس ومباديء التربية الإسلامية المعاصرة في التفكير والتطبيق ليكون منهجاً قويماً في مستقبل الأجيال. كما اشتهر بالمعيّة في الأدب والثقافة والفكر المتجدد.

في عام 1960 عيّن معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، بترشيح من الدكتور مصطفى السباعي فدرّس فيها فترة وجيزة. في عام 1965، اوفد الى كلية الشريعة بجامعة الأزهر، حيث حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وكانت بعنوان (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية). وفي صيف العام نفسه، عاد الى دمشق: ليبدأ صفحة جديدة من حياته، تختلف ملامحها عن الفترة الماضية، حيث تولّى خطبة الجمعة من على منبر مسجد والده (ملا رمضان) مساعدة له كما شارك في نشاطات دعوية مختلفة، منها الموسم الثقافي الإسلامي الّذي نهض به الشيخ على الطنطاوي، مع بعض علماء دمشق. كما عيّن مدرّساً في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

وفي عام 1975 رفّع الى رتبة استاذ عام، ثم عيّن وكيلاً لكلية الشريعة في العام نفسه، وفي عام 1977، عيّن عميداً لكلية الشريعة في جامعة دمشق، وبقي فيها حتى تقاعده من التدريس الجامعي عام 1993، فوجد فيها واجهة مؤسساتية رسمية تسمح له بممارسة دوره في الدعوة والتدريس، اضافة الى دروسه الدّينية وخطب الجمعة في العديد من مساجد دمشق والّتي يرتادها الآلاف من اتباعه ومريديه.

في عام 1980 ألقى البوطي كلمة جامعة دمشق في مهرجان خطابي كبير دعت اليه وزارة الأوقاف السورية بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري، برعاية وحضور الرئيس الرّاحل

(حافظ الاسد). وكانت حوادث الفتنة في سوريا بين الإخوان المسلمين والنظام آنذاك على أشدّها، حيث امتثل البوطي لأمر والده الّذي كان يرى ضرورة نصيحة الحاكم ما أمكن، فكانت النصيحة المحور الجامع للكلمة كلّها. وقد نالت اعجاب حافظ الأسد واهتمامه، كما تركت أثراً بالغاً في نفوس كبار المسؤولين في الدّولة، ولم تنل بالطبع موافقة حركة الإخوان المسلمين في سوريا ومؤيديها. عرض على الدكتور البوطي ان ينشيء حزباً اسلامياً، ويترأس كتلة اسلامية داخل الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا، فرفض رفضاً قاطعاً: على اعتبار انّ ذلك اقرار منه أنّ الإسلام قد تقاسم مع اعطاء الجبهة. النفوذ والسلطان في القطر: ومعنى ذلك انه قد فاز بنصيب الخمس اوالسدس، وان علاقة الإسلام مع بقية اعضاء الجبهة قد غدت علاقة تنافس سياسي، وهذا تقلس لسلطان الإسلام وتحجيم له، بل سعي للقضاء عليه.

في صباح يوم 1990/5/15 ميلادية، الموافق 20 شوال 1410 هجرية، توفي والده الملاّ رمضان البوطي، عن عمر يناهز 104 اعوام، وقد ضل في كامل وعيه حتى الرّمق الأخير، ولم يغيّر المرض الّذي لازمه قرابة عام وعشرين يوماً من حاله شيئاً. ولأن البوطي كان يستشيره في كثير من الأمور، ويستمع اليه، ويلتزم توجيهاته، فقد شكّل فقدان والده مفصلاً مهماً له. وفي ذلك العام كلّفه الرئيس (حافظ الأسد) بالقاء أحاديث (الدّراسات القرآنية) في التلفزيون العربي السّوري هذه الإطلالة وضعت البوطي في موقع متقدم، وحمّله مسؤليات جديدة، اضافة الى لفت الانظار اليه بصورة أكبر مما كان عليه في الماضي، ومتّنت العلاقة بينه وبين الرئيس الأسد بشكل كبير، وكانت اطلالة البوطي الأولى على الجمهور، من خلال التلفزيون السّوري في برامج حواري جمعه مع الكاتب الماركسي الطيب تيزيني، في زمن لم تكن فيه الفضائيات العربية قد غزت المنازل. في عام 1991، شرع بترجمة بعض كتبه الى الإنجليزية والفرنسية. وبدأ باصدار سلسلة رسائل (هذا هو الإسلام) يخاطب فيها الإنسان الغربي المشفق، باسلوب يرى انه ملائم وفق تصوّره الّذي تكوّن لديه من خلال زياراته المتكررة للغرب.

في عام 1993 وغداة اصداره كتاب (الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟) عاد الجدل القائم بينه وبين بعض التوجّهات الإسلامية، مادفعه الى اصدار ملحق سمّاه (زوابع واصداء حول كتاب الجهاد)، ردّ فيه على المعارضين، ثم ضمّنه الكتاب نفسه في طبعات لاحقة. وفي عام 2000، أمّ صلاة الجنازة على الرئيس الراحل حافظ الأسد، فكانت امامته الصلاة آنذاك محور انتقاد من بعض التيّارات الإسلامية.

وفي العام ذاته، خصّص البوطي كتبه لمسألة تيار الفكر الإسلامي التجديدي المعاصر، تحت عناوين مختلفة، وخصوصاً كتابه (يغالطونك إذ يقولون). وفي ذلك العام، أطلق موقعه الشخصي على شبكة الانترنت، ويضم أرشيفاً موسعاً وغنياً لمقالاته ومحاضراته، وخطب الجمعة التي يلقيها، وفيه قسم مخصّص للإجابة عن اسئلة الناس وتصدير الفتاوي. وهناك كلمة يوجّهها البوطي في نهاية كل شهر لزائري الموقع المتوفر أيضاً للناطقين باللغات: الإنجليزية والالمانية والفرنسية والتركية والفارسية. والبشتونية. واتاح هذا الموقع لكثير من المثقفين المسلمين وغيرهم الإتصال بصورة شبه مباشرة معه.

نال البوطي لقب شخصية العالم الإسلامي، في الدورة ال 18 لجائزة دُبي الدولية للقرآن الكريم. في عام 2009، حلّ محمد سعيد رمضان البوطي في المرتبة 22، ضمن الشخصيات الإسلامية الأكثر تأثيراً في العالم، وفق باحثين دوليّين اعدّوا كتاباً بعنوان (أكثر 500 شخصية مسلمة تأثيراً لعام 2009 وقال معدّوا الكتاب: انّ تحديد مدى التأثير امر صعب، ولاسيما انّ الإسلام ليس لديه تسلسل هرمي لرجال الدّين، بخلاف سائر الأديان: معتبرين أن التأثير في العالم الإسلامي يستمد من مصدرين اثنين: العلم، واحترام الثقة. وانّه من عوامل التأثير أيضاً: السياسيّة والعلاقة بالعلوم الدّينية: ولهذا السبب تصدّر الكتاب قائمة بـ 500 شخصية اسلامية من الملوك والرؤساء والعلماء، وروّاد المؤسسات (والشّبكات) الدّينية[1].

قُتل البوطي يوم الخميس 21 مارس من عام 2013 الموافق 9 جمادي الأول من عام 1434 هجرية وذلك اثناء اعطائه درساً دينياً في المسجد الإيمان بحيّ المزرعة في دمشق، فبحسب الرواية الرّسمية، فإن تفجيراً انتحارياً قد أدى بحياة البوطي و42 شخصاً من بينهم حفيده بالإضافة الى إصابة 84 آخرين بجروح. وقد شيّع جسمان البوطي رحمه الله يوم السبت 23 مارس من منزله في دمشق وصُلّي عليه في المسجد الأموي، ثم دّفن بجانب قبر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله المحاذي لقلعة دمشق قرب المسجد الأموي. نددّت العالم بأجمعها من المسلمين وغير المسلمين هذه العملية عملية إرهابية بشعة.

نعم ان هذه الجريمة جديرة بميليشيا الإلحاد والملحدين وضياع هذا الرجل ضياع نجمة لامعة من سماء الإسلام والمسلمين. وأرى أن هذه الخسارة داهية كبيرة مدروسة من قبل أعداء الإسلام والمسلمين

(1) هشام عليوان و فادي الغوش، البوطي، الدعوة والجهاد والإسلام السياسي. طـ بيروت، 2013م، ص 15- 20.

لتخنيق صوتٍ من أصوات الحق، وقطع تيارٍ كهربائي لامعٍ في البلدان العالم الإسلامي، تسلية وتفريحاً لقلوب ميليشيات الإلحاد والملحدين

الفصل الأول

مفهوم الإلحاد

1. مفهوم الإلحاد في الفكر الإسلامي

1.1. الإلحاد لغةً واصطلاحاً

الإلحاد: لغة مصدر الحد، اللّحود المائل ومعنى الإلحاد لغة الميل عن القصد، ولحد علىَّ في شهادته يلْحدُ لحداً: إثِم ولَحدَ إليه بلسانهِ: مال الأزهري في قوله تعالى:(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلحاد بِظُلْمٍ نُذِقْهُ)[2] أي باعتراض وقال الزجاج: (ومن يرد فيه بإلحاد) قيل الإلحاد فيه الشّك في الله وقيل كل ظالم فيه مُلحِدٌ.

وفي الحديث: إحتكار الطّعام في الحرم إلحاد فيه أي ظلم وعدوان وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشئ[3].

الملحد اسم فاعل وجمعه ملاحدة وملحدون.

الملاحدة: فرقة من الكفار يسمون بالدهريين وبالدهرية، الملحد: اللحد القبر، يقال (قبر ملحود).

الملحادة: الكثير الطعن بالدّين. الملتحد ، اللاجيء يميل اليه[4].

وفي كلمة الإلحاد ولفظه اغترّ كثير من الباحثين بشائعات المستشرقين عن الإلحاد وساروا في طريقهم فأصبحوا يرددون أن كلمة الإلحاد هي ترجمة لكلمة إغريقية غابرة وهي Atheos. وكانت هذه الكلمة استعملت من قبل اليونانيون القدماء بمعنى ضيق، وهو عدم الإيمان بإله. وفي القرن الخامس قبل الميلاد أضيف معنى اخر لكلمة الإلحاد وهو إنكار فكرة الاله الأعظم الخالق جل

([2])سورة الحج، 22/ 25.

(3) إبن منظور، لسان العرب، دار الحديث القاهرة/ ط1433-2003، ج/8/ص45.

(4) لويس معلوف، المنجد في اللغة والاعلام. دار الشرق، بيروت، طـ 38/ 2000م، ص 715.

جلاله[5].و معنى الإلحاد في قوله تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [6]. وفي اللغة الانحراف والميلان.

وكلمة الإلحاد كلمة عربية فصيحة، قال ابن فارس في تحليل كلمة الإلحاد تحليلاً حرفياً بقوله ان اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. مثلا يقال الحد الرجل إذا مال عن طريق الحق والإيمان وجاء الإلحاد بمعنى الجدال كما في قوله تعالى: ومن يرد فيه بإلحاد [7].

ومعنى الإلحاد في اسماء الله سبحانه وتعالى يتناول على عدة اوجه منها:

1- إستعمال اسماء الله تعالى على غير الله جل جلاله، كتسمية الكفار اوثانهم بالآلهة.

2. تسمية الله تعالى بما لايجوز تسميته به، مثل يا احمر الوجه، يا سخي اليد[8].

الإلحاد اصطلاحاً: فلسفة تقوم على فكرة عديمة، أساسها إنكار وجود الله سبحانه وتعالى فيعتقد الملحدون بأن الكون مع دقة نظامه وعجائبه وغرائبه وجد بلاخالق، وخلق الكون صدفة. وان المادة الأصم والأبكم ازلية ابدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه وهذه الفلسفة والنظرية وهم محض من الأوهام المخزية ، لأن ما يدّعون من الاذلية والابدية من صفات خالق السموات والأرض لا من صفات المادة الاصمّ والأبكم. [9].

ويجدر بي أن أبيّن في هذا الموضوع أن خرافة الإلحاد لاتجد إلا عند مغفلين متعصبين أو مجرمين شهوانيين مغرورين بالقلّة القليلة التي تعلموه من علم الكون فظنوا انهم عرفوا كثيراً، وجهلوا انهم ماغمسوا بعد اكفهم في شاطيء بحر صغير من بحور علم الكون والكائنات.

وذلك إذا طغى على الإنسان شهواته وانانيته فحاول ان يتهرب من بعض الحقائق التي يشعربها في نفسه إرضاء لغرائزه وشهواته التي اخذت ضيغة الانحراف اوعناداً لأنانيته في كبره وحبه للسيطرة على مقابله.

---

(5) الطحان، احمد خالد، خلاصة العتادفي مواجهة الالحاد. شبكة الألوكة، مكة المكرمة. 2018م، ص11-12.

(6) سورة الاعراف، 7/ 180.

(7) سورة الحج، 22/ 25.

(8) الدوري، قحطان عبدالرحمن، العقيدة الاسلامية ومذاهبها. لبنان 2012م. ص 327- 328.

(9) الجهني، مانع بن حمّاد، الموسوعة الميسرة. دار الندوة العالمية. طـ 5/ 2003م، ص 803- 806.

وإن الإلحاد سراب يرى بعض من الناس إنه حقيقة بإدعآئه البرّاقة المغرية، وإذا قرب منه يتبين لهُ أنّهُ وهم وخرافة، وميليشيات مزخرفة مخادعة يخدعون من الشبّان والمراهقين ليحيدوا عن طريق الحقّ والصّدق الى طريق الكفر والضلالة، وإستعمالهم للتّصدي أمام العقيدة الصحيحة والفكرة القويمة إرضاءً للشيطان وأعوانه محاربة للدّين وأنصاره، ومع هذا يتضح لنا بعد التفكر وإمعان النظر أن نقول إن الإلحاد بالله وإنكار وجود الخالق بعد وضوح الحجج والبراهين من دقة نظر الإنسان في نفسه وفي الكون ليس إلا تهرباً من الحق. وقلب الحقائق، ارضاءً للشهوات الجامحة.

وإن من خرافة الإلحاد وسفاهة الملحد، ليلحد بالله الحق ثم تراه يمشي هرولة مثل الغراب الابقع وراء اوهام تافهة مثل السراب لاحقيقة لها في الواقع لكن مجرد توهم ان لدى هذه الاشياء بعض اللذائذ والشهوات النفسية او بعض الإصلاح الفردي او الاجتماعي.

والحقيقة الحقة ماشهدت به الأعداء وهي ماكتبه (أندروكو نواى إيفي) أحد العلماء الطبيعيين ذو الشهرة العالمية من سنة 1925م الى 1946م تحت عنوان (وجود الله حقيقة مطلقة).

ويقول (ويظهر أن الملحدين بما لديهم من الشّك لهم اعين لايبصرون بها، او عقل مخدّر لاتمنعهم من تصور ان كل هذه العوالم ميتاً ام حياً تصير لا معنى لها بدون الاعتقاد بوجود الله، وكما قال (انشتين): (ان الإنسان الذي يعتبر حياته وحياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى، ليس تعيساً فحسب، ولكنه غير مؤهل للحياة).

ومن المسلمات الضرورية عقلاً ونقلاً، ان شعور أكبر ملحد في الدنيا إذا تراكمت عليه المخاطر والمصائب ماذا يفعل إذا لم يجد سبباً مادياً ينقذه وينجيه من المخاطر والمصائب؟ افلا تتيقظ في اشدّ الحالات فطرته الاولى؟ فينادي بأعلى صوته يالله او ايتها القوة المهيمنة على الكون اغثني من هذه المصيبة؟

ماذا قال فرعون حين أدركه الغرق؟

مع أنه يدّعي الألوهية!

إنه قال: آمنت برب موسى وهارون، آمنت بالذي آمنت به بنوإسرائيل.

إن هذه التجربة كاشفة عن فطرتهم في اعلانهم أنّ الله وراء المادة الأصم والأبكم من حيث يشعرون او لايشعرون وهو الواحد القادر العليم المتصرف بكل شيء.

ينادون الله بعد الإلحاد ويلتمسوا عونه بعد كفر، والله يعينهم ويدليهم على وجوده واستجابته لدعوة المضطر إذا دعاه وينجيهم. بوصولهم اى البرّ الآمن إذا هم يكفرون ويلحدون عن الحق ويكفرون ويعودون الى سيرتهم الأولى. يعني لايذعن الى الله إلاّ في حالة الشّدائد[10]. واضوالله حال الملحدين في قوله تعالى: وَاِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ اِلَّا اِيَّاهُ فَلَمَّا نَجّيكُمْ اِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُوراً [11].

الإلحاد بدعة جديدة وثؤلول كبيرة على جسد الإسلام لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد المتعددة بالاصابع. ويبدوا ان أول من وضع هذا المصطلح (الإلحاد الجديد) هو (جيري وولف) في مقاله نشرها سنة 2006م في مجلة (وايرد) البريطانية بعنوان (كنيسة غير المؤمنين) ويقصد بهذه الجملة الإلحاد الجديد.

والإلحاد يتكون من هذه النظريات الفاسدة المنهارة التي استعملها اليهود لتكون الإلحاد منتشراً في العالم. نشر اليهود نظريات ماركس في الإقتصاد، والتفسير المادي للتأريخ، ونظريات فرويد في علم النفس، ونظرية داروين في أصل الأنواع، ونظريات دوركايم في علم الإجتماع، وكل هذه النظريات من اسس الإلحاد في العالم.

أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقت الحاضر، فقد بدأت بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية.

يتضح مما سبق، أن الإلحاد مذهب فلسفي يقوم على انكار وجود الله سبحانه وتعالى ويذهب الى ان الكون بلا خالق، ويعد العقلانيون هم المؤسّسين الحقيقيين للإلحاد الذي ينكر الحياة الأخرة، ويرى ان المادة أزلية أبدية، وأنه لايوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء فذلك مما لايقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لايعترفون أيضاً بأية مفاهيم أخلاقية ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. ولذا فإن التأريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل. وقصته لاتعني شيئاً،

(10) حبنك الميداني، عبدالرحمن حس، الوجيزة في العقيدة الاسلامية. مؤسسة الرّيان، بيروت 1996. ص 69- 73.

(11) سورة الإسراء، 17/ 67.

يرمون بأنفسهم صحراءً قاحلاً ليس لهم أي امل، ويستظلون بظلّ شجرة لا أوراق لها والإنسان مجرد مادة تطبق عليه القوانين الطبيعية كافة وكل ذلك مما ينبغي ان يحذره الشاب المسلم عند ما يطالع ويتفكر أفكار هذا المذهب الخبيث البشع[12].

والحقيقة الحقة ما شهدت به الأعداء لامحل ولا مجال للإلحاد في الذهن المتفتح. قال (لوردكيفلي) وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالم- هذه العبارة القيّمة (إذا فكرت تفكيراً عميقاً فان العلوم سوف تضترك الى الإعتقاد في وجود الله) ولا بد أن أعلن عن موافقتى كل الموافقة على هذه العبارة الصريحة الصادقة.

في عبارة كهذه العبارة أيضاً قال الفيلسوف الانجليزي (فرانس بيكون) منذ أكثر من ثلاثة قرون: ان قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، اما التعمق في الفلسفة فيرده الى الدين والإيمان بالله[13]. يعني إذا فكرت تفكيراً عميقاً فالعلوم سوف تضطرك الى الاعتقاد في وجود الله لإن العلم ليس كافراً في الحقيقة بل العلم مؤمناً كيف كان ومن كان.

1. 2. المصطلحات التي تتعلق بالإلحاد

أولاً: اللادينية

مصطلح يطلق على عدم ايمان الإنسان بأي دين من الأديان، عنوان موسع تحته كثير من التوجيهات الفلسفية والفكرية المتعلقة بالاسئلة الجوهرية عن الكون ومحتواه عن الاخلاق والسياسة، ولكن تبقى اللادينية مفهوماً بسيطاً يقتضي الاعتقاد ان أيّ دين من الأديان بشري الصنع من صناعات البشر ليس من خالق السموات والأرض. وهذا القول مرفوض حتى عند بعض الفلاسفة الإلحادية.

ثانياً: اللاربوبية

(12) الجهني، الموسوعة الميسرة، ص 806.

(13) نخبة من العلماء الامريكيين، الله يتجلى في عصر العلم. مؤسسة الحلبي، ط1، 1968م، ص 21- 35.

ان كلمة اللاربوبية كترجمة عربية لكلمة (Atheism) ان استعمال كلمة اللاربوبية التي دعا اليها رتشارد دوكير الى جانب كلمة (إلحاد)، كمحاولة لاشتهار كلمة ثابتة متباينة لاتحمل معنى سلبياً من حيث اللغة، مثل ما يفعله كثير من العلمانيين هذه الايام باستعمال لفظ اللبرالية بدل العلمانية. وتفسيرها تفسيراً تدليسياً على الناس على انّها الحرية الشخصية واقناعهم هذا الفكر الباطل المعادي للدين والقيم والإنسانية.

ثالثاً: المانوية

هي مصطلح عقدي من عقائد الفرس القديمة، تنسب الى ماني بن فتك، فهو يعد نفسه ضمن الانبياء وكلاً من بوذا وزردشت ويسوع اسلافاً له. واتباع هذه الفرقة معظمم من أطلق عليهم الزنادقة في صدر الإسلام مع ان لفظ الزندقة في الإسلام يشمل كل فكر فيه خروج عن توحيد الله تعالى مثل احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي المعروف بابن الراوندي الملحد وابي العلاء المعري عند بعض والشاعر العباسي الحسن بن هاني المشهور بابي نواس وغيرهم من العلماء الإعلام.

رابعاً: اللاإداريّة

أحد فرق الملحدة الذين لا يتخذون موقفاً معيناً من وجود الله عزّ وجل، حيث يقولون انها مسئلة علمية لايمكن اثباتها للانسان على حد قولهم. فهم لايؤمنون ولايعتقدون بوجود إله لهذا الكون. ويتبين من موقفهم انّهم يشكّون في وجود انفسهم[14].

خامساً: الزندقة

هي أحد مصطلحات الإلحاد القديمة وله تأريخ، اهتم المستشرقون اهتماماً فائقة بدراسته فكتبوا فيه الرسائل والمقالات ولكن لم يستطيعوا حتى اليوم ان يضعوا ضوءاً قوياً على جميع جوانبه. واعتنى المؤرخون بدراسة هذا التأريخ لأنه بدون ايضاحه والاهتمام به لن نستطيع ان نفهم كيف نشأت بعض النظريات في علم الكلام بل بعض المذاهب الكلامية التي انتهضت خصوصاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لأن الكثير من نظريات المذاهب المعتزلة لايمكن ان يعرف بدون فهم هذه الخصومات التي كان تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة، والتي كان يثيرها هؤلاء

(14) الطحان احمد خالد، خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد. موقع الآلوكة، مكة المكرمة 2018م. ص 87- 88.

الاخرون فيضطر المعتزلة الى ان يتخذوا مواقفاً بإزائها خاصاً. كما اننا لايمكن ان نفهم أيضاً تلك الحركة السياسية الحضارية التي ظهرت، خاصة في بداية حكم العباسيين وهي حركة الشعوبية.

ومما تبيّن لنا في العبارة الماضية ان لفظ الزنديق غامض له معانٍ كثيرة مختلفة فيما بينها على الرغم مما يجمع بينها من تشابه، فكان يشمل على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم وهما الظلمة والنور. ثم لكثرة استعماله اتسع المعنى اتساعاً كبيراً وشائعاً حتى أطلق على كل صاحب بدعة وملحد حتى بلغ القضية الى ان يستعمل لمن يكون مذهبه مخالفاً لمذهب اهل السنة والجماعة.

وكان وجود اهل الزنادقة في اماكن عديدة: فكانوا في بغداد وفي حلب وفي مكة ثم في البصرة والكوفة على وجه مخصوص: وان أشهر ماكان يوجه إليهم من تهم هو ترك (الصوم والصلاة والحج) ثم القول بانهم يستطعون ان يكتبوا خيراً من القرآن: وأخر موقفهم من جانب وحدانية الله تعالى. وانه كانت هناك رابطة بين الزندقة والشيعة. ومن هذا كان الانتساب الى الشيعة الرافضة دليلاً على الزندقة وداعياً الى الاتهام بها: ونلاحظ اخيراً ان الكثير من كبار الزندقة قد مضو حياتهم وشبابهم في اواخر ايام الدولة الاموية[15].

وتنوع الإلحاد على نوعين كبيرين بصورة عامة

1. الإلحاد الفلسفي: وهو النوع الغالب واللامعروف عند كثير من الناس منتشر بين الطلبة في كليات الآداب والعلوم فتجد مئات من الطلبة في كل بلد يعتنقون هذا النوع من الإلحاد الذي يتفرع الى مدارس، وأماكن الثقافة العامة.

2. الإلحاد العلمي: وهو الإلحاد المستند للعلم المعتمد على نظرية النشوء والارتقاء لداروين، وهو مشهور وشائع في الساحة العلمية المنهدمة وله قوة وتسويقية كبيرة نظراً وتصوراً للأنبهار بها. حقيقته العلوم الاستعمالية من اكتشافات وعلى المتكلم أن يفرّق بين المذاهب الثلاثة (اللادينية الربوبية، واللاأدرية)، لأن كثيراً من الملاحدة لايفرقون بين هذه المصطلحاة الهامّة. فتجد ملحداً

(15) البدوي، عبدالرحمن أحمد، من تأريخ الإلحاد في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2/1980م، ص 27- 29.

يقدم نفسه على أساس أنه لاديني او لا أدريّ وهو يقصد المذهب الأول كما ضبط مختلف المدارس الإلحادية الموجودة على السّاحة[16].

تكلمنا عن كلا صورتي الإلحاد الفلسفي والعلمي بصورة عامة. ونتكلم الآن عن المتهمين بالإلحاد ولمن يقال ملحد، ويقال لمن ينكر وجود الله جل جلاله، ولكن الناس بصورة عامة يطلقون ويستعملون هذا اللفظ تارة على انكار وجود الله تعالى، وتارةً على انكار وجود علمه، وعنايته، او قدرته وارادته، ويكفي للمرأ ان يقال له ملحداً ان ينكر اصلا من أصول، او اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة اورأياً من الآراء المعلومة الشائعة الضرورية في الدّين حتّى يتهم بالإلحاد. مثلاً فسقراط اتهم بالإلحاد، وحكم عليه بالموت، مع انه يؤمن بوجود إله واحد، وكذلك افلاطون، وأرسطوا، وابن سينا، وابن رشد، وديكارت، واسبينوزا، وكانت لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تهمة الإلحاد لمخالفتهم آراء اهل زمانهم.

وهذا كله يدل على ان معنى الإلحاد ومفهومه يختلف باختلاف أفكار وتصورات الناس واعتقاداتهم. فإذا كان التصور والمذاهب مخالفاً لاعتقاداتهم عدّوه إلحاداً. وإذا كان موافقاً لها عدّوه ديناً وايماناً. وليس في التأريخ للفظ الإلحاد معنى محدود ثابت لأختلاف معناه باختلاف المكان والزمان، ولتفاوت حال العلماء من الجهال، إذا خوطبوا بما يعزب عن افهامهم، ويلبوا عن اسماعهم.

وربما كان أحسن تحديد للفظ الإلحاد اطلاقه على التصور الذي ينكر وجود الله لاعلى الأفكار التي تنكر بعض صفات الله، او تخالف معتقداً معيّناً دينياً يعلم بالضرورة او رأياً مقرراً جماعياً.

ومما يظهر لنا انّ الفلاسفة الماديّين ملاحدة، لأنهم قالوا بوجود المادة وجوداً مطلقاً، وأنها علة الحركة والحياة والفكر. ومن الملاحدة الدهريين لزعمهم أنّ العالم لايحتاج الى صانع، وانه بما فيه مبنى على الاتفاق. ولكن إذا قال الفيلسوف: بعدم حشر الاجسام او بعدم علم الله للجزئيات، كان كافراً باصل من أصول الدّين لا ملحداً على حد قولهم. وكذلك إذا قال بوحدة الوجود، وهذا لايستلزم انكار وجود الله تعالى ولايقال لصاحب هذه المقالة ملحداً. والأمثلة كثيرة في التاريخ تدل على ان

(16) خربوعي امين بن عبد الهادي. كيف تحاور ملحداً؟ دار وقف دلائل للنشر، الرياض، ط-2/ 1438هـ، ص 26-27.

العلماء إذا اتوا بالغريب والتريف وغير المألوف من الاراء والنظريات، يمتحنون في حياتهم، ويمتهنون، ويتهمون بالزندقة والكفر والإلحاد ويكاد يكون تطور معنى الإلحاد موازياً لتطور فكرة التعصب، ولذا كلّما زاد التعصب كثر عدد الملحدين في تصور ونظر الناس، والعكس بالعكس[17].

وحاصل ما علمنا من محاورات الملحدين لايعلمون لإنفسهم معتقداً ولا مذهباً ولكن جل أفكارهم قائمة ومبنية على معادات الدّين مطلقاً (ايّ دين) والتشكيك في أساسياته ومستنداته التي تتوافق مع الفطرة. وهم يخدعون الناس بكلام واوهام يسمّون بها "النظريات" ليُلبسوا عليهم دينهم، ويقول موريس بلوندل (فيلسوف فرنسي عاش بين 1860- 1949): ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة، وهذه الكلمة مقولة بلا دليل ولكن مطابق للواقع حسبما يقول الطّحان.

ويقول احمد خالد الطحان، انّ هذه المقولة التي اشتهرت عن بلوندل لكنى لم أقف على صحة نسبتها اليه، وذكرتها واعتمدت عليها لصحتها وموافقتها للواقع، وهذا مايعنينا في هذا المقام.

ومثال التشكيك فيمكن لطفل صغير ان يجعل الملحد يشك في عقيدته- ان كانت له عقيدة بان يقول للطفل مايضرك ان تعتنق دين الإسلام، فان لم تكن هناك آخرة لم تخسر شيئاً وان كانت ثمة آخرة نجوت باتباعك للدين.

والحاصل انّ الإيمان باليوم الآخر والحياة بعد الموت حقيقة عظيمة في الإسلام يلزم للعاقل أن يقبل هذه الحقيقة، ويحسب لها حساباً سليماً عن الشبهة وعدم التصديق ويقول الفيلسوف أبو علاء المعرّي في مناقشة بينه وبين منجّم وطبيب في ردّ من لا يؤمن بالبعث والنشور، ويقول في ردّهما بهذه الأشعار الغريبة والعجيبة: -

قـــال المـــنجّم والطّبيـــب كلاهمـــا:
لاتحشـــرُ الأجســـاد! قلـــت اليكمـــا
ان صـــحّ قولكمـــا، فلســـت بخاســـرٍ،
اوصَـــحّ قـــولي، فالخســـار عليكمـــا
طهّـــرتُ ثـــوْبي للصـــلاة، وقبلـــهُ
طُهّـــرٌ، فـــأين الطـــّهرُ مـــن جســـديكما؟

(17)صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ذوي القربى، قم- طهران، 1385 (ج1)، ص 119- 120.

وذكـــرتَ ربّـــي، فـــي الضـــمائر، مؤنســـاً
خلـــدي بـــذاك ، فاوحشـــا خلـــديكما
وبكـــرْت فـــي البـــردين أبغـــي رحمـــةً
منـــه،ولا تُرَعـــان فـــي بُـــرد يكمـــا
ان لـــم تعُـــدْ بيـــديّ منـــافعُ بالّـــذي
اتـــى، فهـــل مـــن عائـــدٍ بيـــديكما؟
يُـــوْدُ بُـــردُ التّقـــى، وإن تهلّـــلَ نســـجهُ،
خيـــرٌ بعلـــم الله مـــن بُرديكمـــا[18]

ومن خلال تفسير هذه الأشعار لأبي علاء المعرّي علمنا أن الإيمان له ثمرة عظيمة في الدنيا والآخرة وأن الكفر والإلحاد نقمة في الدنيا والاخرة.

فإن موريس بلوندل، مصيب في قصده بالملحدين المعنى المعّروف وهو انكار وجود الله تعالى لأن كل انسان بالطبع في داخله يقين بوجود الله تعالى ولو اظهر خلاف ذلك، ولقد شاهدتُ مع احد الملاحدة شخصياً لقاءً مصوراً قال في بداية اللقاء السلام عليكم!! وهذه الكلمة دليل على انه بفطرته مؤمن بوجود الله وإن ادعى الإلحاد ظاهراً.

وآخر ذهب الى أحد يخبر بإلحاده فخراً فانكر عليه وقال له انت لست ملحداً فتنبه فطرته فقال في جوابه والله العظيم انا ملحدٌ!! وهذه الجملة القسمية يحلف بها لتصديق صاحبه بها في ادعاء ملحديته دليل وبرهان على وجود الإيمان الفطري في داخله.

وحاصل ما فهمنا ممّا مضى ان الإلحاد على ماقال الفيلسوف الفرنسي (موريس بلوندل) هو خروج عن الاعتقاد الى لاشيء او الخروج عن الهوية، او مسخ وتشويه الفكر وترك الشك مكان اليقين دون الإهتداء لشيئ. وإن سمّوا إلحادهم بعناوين برّاقة، لادينية، او لاربوبيّة او مانوية او لاادرية، او عبدة الشيطان او اي شيء آخر[19]. نعم أن كل هذه العناوين البرّاقة كفرٌ والكفر كلمة

(18) المعّري، أبى العلاء، اللزميّات، مؤسسة النّور، بيروت-لينان، ط1/1430هـ 1999م/ص398.

(19) الطحّان، خلاصة العتادفي مواجهة الالحاد، ص 89.

تملأ الفم وتجري على اللـّسان بدون أن يكون لها وجود من الواقع لأنّ انكار وجود الله جلـّه جلاله وانكار الجنة والنار وانكار الرسالات السماويّة ليس الا كلاماً دون ان يكون له من الواقع نصيب وحظ ولايملك اهل هذا الكلام المهزوز الباطل لإثباته الا الجهل والجهل ليس دليلا على أي شيء الاعلى وجوده[20] أرى أنّه يسمى الجهل المركّب لإنّ صاحب هذا الجهل لا يعلم أنّه لا يعلم.

2 . أنواع الإلحاد.

2 .1 تنوع الإلحاد الى خمسة أنواع

النوع الأول: إلحاد التكبر:

أن إلحاد التكبر أقدم وأعتق انواع الإلحاد نشأةً وظهوراً ومرتكب هذا النّوع من الإلحاد مؤمن بوجود الله ابتداءً كابليس وانتهاءً كفرعون ثم حاد عن طريق الحق تكبراً وغروراً الى طريق الضلال.

إن ابليس عرف الله لكنه اعنتر بما اعطاه الله من الملك والنعم لذا قال سبحناه عنه {ففسق عن امر ربه} خرج عن طاعة ربه فاستكبر وصار من الكافرين ومن هذا النوع كثير من الشواهد من افعال الناس استكبروا فحادوا وكفروا كما فعل نمرود بن كنعان وهو ملك تجبّرَ في الأرض وصاحب الصرح الذي ببابل أشار القرآن اليه بقوله : اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِي حَاجَّ اِبْرٰهِيمَ فِي رَبِّهٖٓ اَنْ اٰتٰيهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ ۘ اِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيٖ وَيُمِيتُ ۙ قَالَ اَنَا اُحْيٖ وَاُمِيتُ ۜ قَالَ اِبْرٰهِيمُ فَاِنَّ اللّٰهَ يَاْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ ۚ[21].

(20) عبدالرحمن، عبدالخالق، الالحاد، ط2، الرياض، 1404هـ، ص38-39.

(21) سورة البقرة : 258/2.

ومثله إلحاد فرعون تكبر على بني إسرائيل كما أشار القرآن آن قول فرعون يخاطب بني اسرائيل وقال وَنَادٰى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهٖ قَالَ يٰا قَوْمِ اَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْاَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِيْ ۚ اَفَلَا تُبْصِرُوْنَ ۖ[22].

وإلحاد قارون كذلك لأن قارون من من آمن بموسى عليه السلام وهو ابن عمّ موسى وقال سبحانه في وصف قَارُونَ: اِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسٰى فَبَغٰى عَلَيْهِمْ ۖ وَاٰتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا اِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوْأُ بِالْعُصْبَةِ اُولِي الْقُوَّةِ ۗ اِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَ [23].

وكان قارون من قبل طغيانه ملقب بلقب المنوّر لحسن صوته بالتوراة فبغى عليهم أي تجاوز حدّه في الكبر والطغيان والتجبر عليهم وكان بعضهم يقول كان تكبره وبغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه فعله تكبراً عليهم ولكن في الحقيقة بغيه عليهم بكثرة ثروته و مفاتح خزائن قارون لتنوء بالعصبة، يعني تحمل على ستين بغلاً فلمّا كثر ماله وبسط الله له الرزق تكبر وبغى على قومه وصار ملحداً متكبراً[24].

وكفر اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم هو من هذا الباب لأنهم يعلمون انه الحق من ربهم كما قال تعالى: اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُوْنَهٗ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَاءَهُمْ ۖ وَاِنَّ فَرِيْقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ [25]. وهكذا إلحاد كفّار قريش أخذتهم العزة بالاثم، فحادوا من الإيمان فهم يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن حملهم العناد والكبر على عدم الإيمان كابى جهل وحواشيه، كملاحدة زماننا ينكرون الحق عناداً مع معرفتهم بالحق والصّدق.

النوع الثاني: إلحاد الإشراك

الإشراك من الشركة، وهو ان يكون الشيء بين اثنين لاينفرد به أحدهما والمعنى ان نجعل لله نداً وهو خلقك، كاليهود والنصارى. وأشار القرآن الى هذا النوع من الإلحاد: وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ عُزَيْرُ ۨ

(22) سورة الزخرف : 51/43.

(23) سورة القصص: 28/ 76-78.

(24) الطّحان، خلاصة العتادفي مواجهة الالحاد. ص 20-21.

(25) سورة البقرة: 146/2.

ابْنُ اللّٰهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اَنّٰى يُؤْفَكُونَ [26].

ووقع قوم ابراهيم عليه السلام في هذا النـــوع مـــن الإلحاد: اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي اَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا اٰبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. [27]

وشرك بعض قوم يهود من هذا الباب فطلبوا من نبي الله موسى ان يجعل لهم إلهاً يعبدونه من دون الله: قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا اِلٰهاً كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [28].

وقد ارتكب هذا النوع من الإلحاد بعض كفار قريش يعبدون الأصنام وقالوا تبرأةً لأنفسهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وهذا نوع إلحاد لانه عدول عن الطريق القويم، لان التعبد لله تعالى لايجوز إلا بما أمر الله سبحانه وتعالى، والتعبد لايجوز بأي عبادة إلا إذا كانت العبادة ثابتاً في النصوص الشرعية (القرآن والسنة النبوية الصحيحة). انها عبادة شرعها الله تعالى والاصل في العبادات الحظر لايجوز لأحد ان يتعبد الله تعالى بشيء لم يشرعه الله جل ثناؤه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في امرنا هذا ماليس منه فهوردٌ) [29]

النوع الثالث: إلحاد الفكري

الفكر هو تردد القلب في الشيء يقال تفكر إذا تردد قلبه معتبراً ورجل فكير أي كثير الفكر، وهو اعمال الخاطر، والتفكر هو التأمل، وتقول: مادار فكري حول كذا، أي ماخطر ببالي، والفكرة: قوة مطرقة للعلم الى المعلوم، وقال بعضهم: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور و بحثها طلباً للوصول الى الحقيقة[30].

---

(26) سورة التوبة: 30/9.

(27) سورة الأنبياء: 52/21-54.

(28) سورة الأعراف: 138/7.

(29) اخرجه البخاري في كتاب الصلح رقم (2697) ومسلم رقم (1718)؛ الطحان ، خلاصة العتاد في مواجهة الالحاد. ص 18- 26.

(30)منظور، إبن، لسان العرب. دار الحديث- القاهرة. 2003م، ص 146.

وثالث انواع الإلحاد وجوداً وكثير من الناس يظنه خطأ أصل الإلحاد، لأنّ بذرة هذا النوع بدأت من فلاسفة الإغريق واليونان وكانوا يشكّون في شك من أجل الشك فبدءوا بإنكار الاشياء التي يسمّون بها (الميتافيزقيا- يعني ماوراء الطبيعة المادية المحسوسة).

ويشكون في كلّ المسلمات ولم يكن الهدف من الشّكّ الوصول للحقائق بل من أجل الشك نفسه كنوع من المتعة العقلية المجردة عن كل المقاصد والآمال، وكثير من ممارسي الإلحاد يردّدون: الإلحاد مرحلة شك، الإلحاد هو نتاج بعض الاسئلة الشكية.

ولايمكن حصر الإلحاد من الشكّ، ولكن الشك قد يؤدي الى الإلحاد حينما كان الشك مذهباً. أي يجعله صاحبه هدفاً لاوسيلة، وفي نفس الوقت يصبح هدّاماً للمسلمات والعقائد ولا ينتج نتائج لإن ممارس ظاهرة الإلحاد يدور في حلقة فارغة عن الحقيقة المسلمة حاله كحال (بروتاجورس) زعيم السوفوسطائيين الذي شك في كل شيء حتى قال: أنا لا أعلم ما إذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة لأن هذا الموضوع غامض والعمر قصير ويقول بلسان الحال وجهلى غزير.

وعرفت العرب هذا النوع من الإلحاد في الجاهلية وسمّوا بالدّهريين الذين كانوا يعتقدون بقدم العالم، وعدم الاولية وانكروا الآخرة، ويذكرهم القرآن بقوله: وَقَالُوا مَا هِيَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا اِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۚ اِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّونَ [31].

وفي الإسلام عرف اتباع هذه الفكرة الإلحادية بالزندقة، والزندقة في الإسلام يستعمل لكل فكر فيه خروج عن توحيد الله تعالى، وألوهيّته وربوبيّته.

وللأئمة والعلماء مجادلات و مناقشات مع اصحاب هذا النوع من الإلحاد كمناظرات ابي حنيفة والشافعي و أبي يوسف وغيرهم وهذه الفكرة الإلحادية موجودة في عصرنا، ينكرون البعث والآخرة والحساب والحشر والنّشر [32].

النوع الرابع: إلحاد العقلي

(31) سورة الجاثية: 45/ 24.

(32) الطّحان، خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد، ص 27- 28.

إنّ الله قد خلق العقل وأرسل للعقل ما يناسبه وهو الوحي والقرآن فإن حاد الإنسان عن الوحي تعطل العقل عن وظيفته. فالعقلانية او المذهب العقلي اتجاه لتمجيد العقل واعتماد أحكامه خطاءً او صواباً ضد الاتجاه الديني مهما كان الدّين حقاً ومهماً كان الذي نسب اليه صواباً، فالمحكّم في هذه الإتجاه هو العقل.

وافرز هذا الاتجاه العقلي الإلحاد وادعاآته الباطلة، والديكتاتورية والدمقراطية على اختلاف درجاتها في الرأسمالية والسياسة، والاشتراكيات على اختلاف درجاتها في الإقتصاد، وآراء كثيرة في تعليل ظاهرات الكون تعليلات فلسفية لاتقبل للمشاهدات الحسيّة ولا التجربة[33].

وقد وقع فيه قوم لميلهم الى عقولهم (والميل الى الإلحاد) والتحلل يأتي بخروج العقل عن حدوده وميله عن طريق القويم (والميل هو الإلحاد).

وأصل إلحاد العقل جاء بسبب التأثير بفلسفات وسفسطات المدارس الفلسفية الشكّيّة التي اعتمدت على القدرات العقلية لادخال الشّكّ في قلب المحاورين وما نشؤا من بديهيات ومسلمات إلاّ انّ هذه المسلّمات والبديهيات في الزمان القديم والغابر لم يتسمّوا الإلحاد العقلي، لانه لم يكن الاّ مجرد التردد والشك فكان حينئذٍ إلحاداً فكرياً لاعقلياً، ثم بدأت مقدمات الإلحاد العقلي بعد اشتعال الثورة الصناعية في اوروبّة. حيث سلطت المادية وانتشر وشاع احتقار الدّين النصراني ورجاله لتسلطهم وظلمهم على الناس باسم الدّين ومع احتقار الكنيسة ورجالها سقطت كل الثوابت المنتمية للدّين النصراني وتم تهميش وتنحية الدّين جانباً، وبدأ علماؤهم في تأسيس الأسس العلمية التي تنهض وتقوم على العقل والعلم بعيداً كل البعد عن الدّين ورجاله.

وأستعانوا في نهضتهم بفلسفات الاغريق واليونانيين فركبوا الى ماديتهم الشكّ في الثوابت والمسلمات وساعدهم كثرة اكاذيب احبارهم ورهبانهم والحاصل اعتمدوا على المحسوسات والماديات وهذا هو أصل الإلحاد المعاصر الذي نعاني ونتعب منه اليوم ولكن النهضة واليقظة التي يصنعها وينشدها للشعوب تتضمن الأمرين.

كما أشار القرآن لهذين الأمرين بقوله: وَنُرِيدُ اَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ اَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ[34].

(33) الميداني، كواشف زيوف ، ص 159- 160.

(34) سورة القصص، الآية: 28/ 5.

وحاصل ما تبيّن لنا من إلحاد العقل إن الإنسانية ليست جسداً يأكل ويشرب، ولكنها فطرة تتشوف للانطلاق والتحرر، ولابد ان يتقرّر لها حقها في النقد والمراجعة وحساب كل ذي منصب مهما جلّ واقصاء من تكره وادناء من تحب [35].

ومهما فهمنا من إلحاد العقل انه تطوير لإلحاد الفكر من انكار الغيبيات (ما وراء الطبيعة) والإعتماد على الماديات والمحسوسات وهذا هو أصل الإلحاد المعاصر الذي نعاني منه وهذا النوع من الإعتماد على العقل تأليه للعقل وتعمق في المادية بعيداً عن الروحانيات الإيمانية وهذا هو السبب الرئيسي في انتحار كثير من ابناء الماديين. وفي كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، يذكر رئيس البوسنة والهرسك (علي عزت بيجوفيتش) أن ثلاثة عشر روائياً وكاتباً يابانياً أقدموا على الانتحار وقد تزامنت هذه المأساة المتواسلة للثقافة اليابانية خلال سبعين عاماً مع احترام مع احتراق الحضارة العربية والأفكار المادية للثقافة اليابانية التقليدية. كما ادت المادية العربية الى ظهور جيل بائس من الشباب يملك كلَّ شيء ولكن يعوزه كل شيء، اولئك هم (الوجوديون) او ما يسمّون (بالجيل المهزوم) الذين يشرون بفلسفة (البعث) وهو جيل من العصر المعرضين للإنحراف، (والهيبز) الذين يتجاهلون الواقع ويسخرون من النظام والقواعد وتنتشر اساليب سلوكهم وأفكارهم كما ينتشر الطاعون في المدن الكبرى في انحاء العالم ويذكر الكاتب اموراً اخرى كثيرة مع الإحصائيات الواقعية لها وللمزيد من المعلومات ارجع لكتاب الإسلام بين الشرق والغرب لرئيس البوسنة والهرسك (علي عزت بيجوفيتش)[36].

وأرى أن الإعتماد على العقل لم يصل الإنسان به الى الحقيقة لأنّ العقل لم يكن سليماً في بعض الأحيان ولم يكن جاهزاً للإطئمنان به بدليل إرسال الرّسل ونزول الخبر الصّادق على الإنسان والإيمان بالعقل وحده تأليه للعقل وتكفير بالله الّذي لا إله غيرهُ، ومن هذا لإزاحة للماديّين في حياتهم وأعمالهم لأنّهم آمنوا بالمادة في كلّ الجوانب وكفروا بالله في كل الجوانب، ولهذا يلزم أن نقول لهم هيهات لما تؤمنون به من المادة المخلوقة مثلكم.

---

(35)الطّحان، خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد، ص 30- 32.

(36) بيجوفيتش، علي عزت، الاسلام بين الشرق والغرب. ترجمة: محمد يوسف عدس. ط-1/ 1994م ص 121- 123.

2. 2. تأريخ الإلحاد

تأريخ الإلحاد يرجع الى إمام الملحدين ابليس (عليه اللعنة) وقد وصفه الله بفعله الإلحادية إنه: من الخاسرين والمحرومين ومن سار على طريقه وصف بوصفه ينال جزاءَ مثل وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِينَ[37].

و موضع التعجب ان إلحاد ملاحدة زماننا أقوى من إلحاد الشيطان لأن الشيطان يؤمن بالله وخالقيته وبعض اهل الإلحاد المعاصر لايؤمنون بخالقية الله سبحانه وتعالى وانما الههم المادة والصدفة[38].

إن ظاهرة الإلحاد في الإسلام من أخطر الظواهر في تطور الحياة الروحية وهي ضرورية النشأة في جميع الحضارات التي تكون في دور المدينة على حد تعبيرهم. وذلك لأن الإلحاد نتيجة لازمة لحالة النفس التي استنفدت جميع امكانياتها العقيدية والدينية، فلم يمكن في وسعها بعد هذه الحالة النفسية التي رسخ في عقله ان تؤمن بعد. والإلحاد الغربي هو الإلحاد الذي عبّر عنه نيتشه حين يقول: تعبيراً عن ملحديته (لقد مات الله). والإلحاد اليوناني هو الذي يعبر عن إلحادة بقوله: (ان الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتوا). والإلحاد العربي هو الإلحاد الذي يعبر عن إلحاديته بقوله: (لقد ماتت فكرة النبوة والانبياء). وان الإلحاد العربي لابدّ ان يصدر عن الروح العربية. وما تضعه هذه الروح من صلة في تدينها الخاص، بين الله وبين العبد. وإذا نظر الى هذه الصلة على انها صلة افتراق وبُعد كامل، فقد وسطت بينهما كلمة لفظ الجلالة وهي لاترد عنه مباشرةً لوجود العلاقة الفطرية الهائلة بين العبد وربّه. بل يبدأ بالوسيط، وهو النبي، لهذا كان لهم أخطر دور في حياتهم الدينية عند الروح العربية. وفي هذا نعلم ونفهم كيف كان الأنبياء جميعاً من ابناء هذه الروح وحدها من آدم الى الخاتم صلى الله عليه وسلم.

---

(37) سورة الحجر: 15/ 43.

(38)الطّحان، خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد، ص 22.

وحاصل ما علمنا من العبارة الماضية إن الدّين والتديّن عامة انما يبنى على منهاج النبوة والانبياء. ولهذا اتجه الإلحاد الى القضاء على هذا الفكرة التي تكوّن هيكل الدّين وجوهره لدى تلك الروح الطاهرة ويحسدون كحسد الشيطان للإنسان في عقيدته.

ويوضّح لنا هذا التفسير في ان الملحدين في الروح العربية اتجهوا كلهم الى فكرة النبوة والانبياء، وتركوا الالوهية. ولكن الإلحاد في الحضارات الاخرى يتجه الإلحاد مباشرةً الى الله جل جلاله، ولا فرق. والنتيجة واحدة في النهاية. لأنّ كلا جانبي هرشى لهنّ طريق لإنكار الدين وهو الهدف عندهم لإنكار الألوهية وتصنيع الإلحاد، وهذا كضرب مثل نقلته من تفسير النسفي للامام العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي في تفسير سورة الزلزلة ويروى أن اعرابياً اخّر خيراً يّره فقيل له قدمت واخّرت فقال في جوابهم بشعر من اشعاره بان النتيجة واحدة فقال:

خُـــذا بَطْـــنَ هَرْشـــى اوْ قفاهـــا فإنَّـــهُ
كِـــلا جـــانِبَيْ هَرْشـــى لـــهُنَّ طـــَريقُ

ان انكار الاله عند اليوناني ينتفي التديين، وبانكار الاله اللاّمتناهي. عند الغربي ينتفي الدّين، وبانكار النبوة ومنهجها عند العربي تزول وتهدم الأديان.

ولذا يلزم ان نكون على بصيرة للمعنى الخفي المستتر وراء انكار النبوة، وانكار النبوة عند العربي يتعداها الى الالوهية نفسها لانه مادامت النبوة هي السبيل الوحيد الذي تعرفه هذه الروح العربية للوصول الى الالوهية، فإنها تقطعها إياه قد قطعت في الوقت نفسه كل سبيل الى الألوهية كذلك.

وفي الحقيقة ان الروح العربية في القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة قد استعملت جميع جهدها وامكانياتها الدّينية الخلـّصة التي كانت لها من قبل خاصة في اليهودية والمسيحية والمانوية والزرادشتية ثم الإسلام الذي توج هذه الأديان كلها بان اظهر أجمل صورة كاملة للدين قدّر لهذه الحضارة العربية بلوغها: فكان لا مثيل لها بعد هذا ان تنحدر من تلك القمّة العجيبة وتستفرغ امكانياتها الدينية حتى تغيض عنها موارد التدين جملة، وهذا ماتم فعلاً في القرن الثالث والرابع على وجه التخصيص. وان هذا التطور ضرورياً للتطور الحضاري وان هذا التطور من العوامل

الحاسمة تطور الحضارة العربية، والروح العربية. وان العوامل الاخرى فعوامل مُساعدة وليست هي العوامل الحاسمة.

ومن العوامل الانتقام الشعوبي من جانب المغلوبين ومالديهم من تعصب لدينهم القديم لان العصبية كانت تقوم على الدوام على اسباب من الدين في الحضارة العربية بحسبان الدين من العوامل الحاسمة في تصنيع القوميات والدول. وهذا يوضّح لنا السر في علاقة الشعوبية بالدين إذ الدين هو العامل الاكبر في التراث القومي في الحضارة العربية وفي باقي الحضارات. فلم تكن الحال كذلك من التوحيد بين الدولة والدين بل في الحضارات الاخرى العصبية القومية بمعزل عن كل عصبية دينية، لان لكل حضارة خاصية متعلقة بنفسها ولها من قيمة علياً لديها.

ومنها نزعة التنوير التي نشأت في العالم الإسلامي كنتيجة لإنتشار الثقافة اليونانية في ذلك الوقت وهي نزعة بدأت من قبل عند نهاية الحضارة في الحضارة العربية بإختلاطالثقافة اليونانية بواسطة ترجمة كتبهم الفلسفية والمنطقية في بلاط كسرى مما يتمثل خاصة عند بولس الفارسي وعند برزويه. وما كانت حركة ابن المقفع وابن الراوندي وابن زكريا الرازى على حد قول عبد الرحمن البدوي الا امتداداً لنزعة التنوير الفارسية هاتيك- وكان شأنها ليست متباينة عن كل نزعة تنوير تقوم دائماً على أساس تمجيد العقل وتمجيده وعبادته بحسبانه انه الحاكم الأول والأخير الذي لارادّ لحكمه في كل شيء مما يتمثل في النزعة العقلية المتطرفة في كل ادوار نزعة التنوير في كل الحضارات. وكذلك عند نزعة اليونانية لدى السوفسطائيين، وفي نزعة التنوير الاوربية في القرن الثامن عشر والتي كان على رأسها (فولتير وكنت). ويقول عبدالله البدوي والأمر كذلك أيضاً كما سنرى بالنسبة الى كل من يتمثل نزعة التنوير من الملحدين في الحضارة الإسلامية العربية ومن ضمنهم خاصة ابن الراوندي وابن زكريا الرازي على اعتقاد عبدالله البدوي[39]

معلومات آخرى في تأريخ الإلحاد:

يعلمنا التأريخ أنه كان في كل قرن من القرون أناس سفهاء أنكروا وجود الخالق، لكن الفرق ان القدماء الملحدين معدودون على قلة قليلة يُعدُّ بالاصابع، لكن الإلحاد الجديد الذي له بث اعلامي يروّج له ونظريات علمية حاشدة تدعوا اليه!

(39) البدوي، دراسات من تأريخ الإلحاد في الاسلام، ص 5- 7.

لكن يبقى التأريخ عاجزاً عن اعلامنا بأول ملحد في تأريخ البشرية. وقلنا عن امام الملحدين في غير البشر بأنه ابليس لأنه أول من خرج في طريق الحق ومال الى الضلال في غير الإنسان. ولكن في البشر لم يصلنا عن القدماء إلا القليل وقد تصل الى عدد كلمات يسجل لنا التأريخ بأنهم أول ملاحدة عرفوا قد عاشوا في حقبة اليونان وهذا هو اسمائهم: (دياغوراس من ميلون) (415- 465)، كريستياس (403- 406)، ديوجين الكلبي- 412 تيود ورالملحد 320.

وهؤلاء لهم عبارات وشطحات تنفى صراحة وجود خالق للكون، والقلة الباقية الذين يتعسف الملحدون ادخالهم الى الإلحادية قد كانوا يعارضون ديانة اليونان الوثنية. ولا يكفي معارضة فيلسوف لديانة قومه حتى يوصم لنفي وجود الاله. وفي عصور التأريخ ديانات اخرى ونحل كثيرة والحنيفية التوحيدية عرفت عند بعض اهل اليونان. ومثله تشارفاً كالهندي وهو من اشد الخاصمين في الهند للديانات الوثنية وعاش قبل ميلاد المسيح عليه السلام في سنة 107 والذي أُخذ منه كلمات قليلة تنفي وجود الحياة بعد الموت، بوصف الأخير نهاية النهاية لكل نهاية لكن من الحماقة القول بانه كان ملحداً اصطلاحياً، يعني بالوصف الاصطلاحي. وفي نفس الوقت معتقداً خفياً بوجود خالق للكون وفي عين الوقت لو يؤمن بالبعث والجزاء كما هو حال عديد من الشيوعيين واللادينيين في زماننا المعاصر ووقتنا الحاضر!

ومنذ هذا العصر لم يكتب لنا التاريخ بصورة واضحة وجود فلاسفة ملحدين ينكرون وجود الخالق، حتى ظهر فلاسفة التنوير الذين هجموا على الكنيسة والعقيدة النصرانية فأبرزوا أفكارا ومؤلفات وأطروحات كانت هي أساس وأصول تطور الإلحاد كما سنراه في وقتنا المعاصر والحالي، حيث شاع وظهر شهرة الفيلسوف جون ميسيلي كأول ملحد الّذي عاش و تمتع بحياته ما بين 1664م- 1729م والذي عمّم و رفض المسيحية ونفى البعث والجزاء وغيره من المعتقدات المسيحية ولم يُعلم منه هل أنّه درس الإسلام ام لا؟ فألف كتابه كأساس اعتمد عليه عديد من الملحدين قد اظهر المؤلف آرائه الإلحادية في كتابه .Letestament وفي سنة 1770م سيصدر كتابة Third d’Holbach Pauinatur lesrsteme delanature,

والذي يدعوا فيه الى الإلحاد المادّي وأنّ الأخلاق الإنسانية ليست متولدة في الأديان بل متواجدة في غريزة الإنسان ويحسبه هذا الكتاب أهمّ مؤلّف يرتكز عليه الإلحاد المادّي فيما بعد.

وان هؤلاء الفلاسفة الفرنسيين هم الاوائل والأساتذة الاوائل الّذين سوف يعتمد عليهم الفلاسفة الألمان والإنجليز وغيرهم من الفلاسفة واللادينيين لكي يبدؤوا في تأصيل المدارس الإلحادية الأولى. حيث سيظهر لنا اوجست كومت، وتلميذه دوركايم، وشوبنهاور، هيجل، لودوفيج فيور باخ، ماركس ستيرنر، كارل ماركس، فريديرك نتشه، اوجست بلونكي، ويسيغموند فرويد... وغيرهم من روّاد المذاهب الفكرية الأخرى كاالالادينية الربوبية واللا أدرية.

ولايمكن هنا ذكر المدارس الإلحادية وكل فيلسوف ومقالهم بصورة مفصلة بل يبصر القاريء بشكل موجز حتى تكون القاريء على بصيرة والافتاريخ الإلحاد يحتاج الى مصنّف مستقل وليس الى عدد ورقات، بل انّ تأريخ الإلحاد يحتاج الى تأليف مؤلفات لتوضّحوا هذه العقلية المريضة بصورة مفصلة امام اعين الناس حتى يكون الناس على بصيرة في مواجهة هذه الشعوذة الخطيرة والافهام السفيهة السقيمة.

وحاصل ما فهمنا بصورة موجزة من تأريخ الإلحاد وجوب تنبيه الناس في هذا العصر المعتنق للإلحاد ان الإلحاد موجة فكرية معادية للدّين عملت على تهميش ونقض الديانة المسيحية اولاً ثم باقي الأديان السماوية، حيث جنت الأخيرة على العالم الغربي جناية حكم بالنار والحديد وبمعتقدات منافية لايستسيغها منطق ولاعقل! والتطرف لايثمر لنا إلاّ تطرفاً مضاداً ونحن نعلم ونشهد بيقين أنّ اوربّة لو عرفت الإسلام كما هو ما انتشر الإلحاد فيها بهذه الكمية الكبيرة، وأنظر حينما عاش الإلحاد في القرون السابقة أزهى عصوره قبل ان يتقهقر في اواخر القرن العشرين من جديد، وانظر مقارنة بين عدد الملحدين في عالمنا الإسلامي وبين عددهم في الغرب حتى تتّضح لك الرؤية. فالأمة الإسلامية تئين تخلفاً في كثير من المجالات وتبعيّةً فكرية مجردة من التّصور الصحيح وغزواً ثقافياً عرفه على جميع الاصعدة ومع ذلك نسبة الملحدين فيها تكاد لاتذكر فما تصورك لو كان الأمر عكس ذلك!

وشتان بين أن تؤمن الأمة بعقيدة لا اعوجاج فيها كالإسلام وبين عقيدة متناقضة عوجاء دخلتها العقائد الوثنية من جميع الأطراف. وأيضاً بين عالم نحرير يبين لك كل ركن من اركان

الإيمان بالبرهان والدليل ومابين راهب يدّعي غفران عصيانك و ذنوبك مقابل ثمن بخس محدود[40].

وحاصل ما علمنا من عدم المقارنة بين العقيدة الصحيحة والعقيدة المحرّفة الباطلة نوعٌ من عمى البصيرة ومن العناد والمكابرة التي بلغت عندهم حداً جعلهم لايسمعون آذانهم صوت الحق ويغمضون اعينهم عن نور الإيمان. وحقداً و عناداً، وهذه الفئة من الناس افسد الفطرة وأغلق البصيرة بحيث انه لو عرض الحق عليهم ولمسوه بأيديهم فرأوه رأي العين لأعرضوا عنه كما أشار القرآن الى هذه الحقيقة بقوله وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [41] يعني لا يعترفون بالحق مع علمهم بالحق مكابرة وعناداً.

وتبين لنا فيما مضى أنّ أهم الأسباب لظهور التيار المادي الإلحادي المعاصر الكنيسة والقائمين على امر الكنيسة من القساوسة والرهبان، حرّفوا النصرانية التي انزل الله على عيسى عليه السلام وادخلوا في دين الله كثيراً من البدع والخرافات والتثليث كما نرى[42].

وأرى أن هذا الانحراف والإنحدار من قبل علمائهم لأجل إشباع شهواتهم الدّنيوية وإعراضهم عن التكليفات الشّرعية التي أنزل الله عليهم من طريق مرسلهم وأنبيائهم، وشراءِ الحياة الدّنيا بالآخرة مع عدم الربح في هذه التجارة الخاسرة المهلكة، غروراً وعناداً، كما هو دأب الملحدين في عصرنا وزماننا هذا

3. في بعض مذاهب الإلحادية الجديدة

هنا تحت هذا العنوان نذكر بعض مذاهب الإلحادية الجديدة

1.3. الإلحاد الجديد العلمانية والوجودية

العلمانية هي ترجمة لكلمة (SECULARISM) الإنجليزية وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدّنيوية.

---

(40) خربوعي، كيف تحاور ملحداً. ص 27- 31.

(41)سورة الأنعام: 6/ 7.

(42) طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ص 13.

ولها تعريف آخر: فالعلمانية هي النظرية التي تقول بأنّ أمور الأخلاق والمعاملات والتعليم يلزم أن تسير بدون أيّ إعتبارات دينية والتعليم يلزم أن تسير بدون أي إعتبارات دينية أيّ دين من الأديان والخلاصة انها النظام السياسي والإجتماعي الذي ينبذ كل أنواع العقيدة الدينية أو العبادة[43].

يقول البوطي رحمه الله في مفهوم هذه الكلمة المزخرفة: العلمانية المشاعة على ألسنة الناس هي نسبة على غير بابها الى العلم، يمكن ان يكون في أصلها الاول وصفاً لاي فكرة او اتجاه او بحث من البحوث لايقوم إلا على السند والمنهج العلمي، ولكنها صارت تعبيراً ذا هدف سياسي عن مذهب معيّن في نظام الحكم، فالعلمانية في الإصطلاح السياسي والإجتماعي تعني ذلك النظام الاجتماعي والسياسي المتحدر عن سلطان الدين والمتخذ لنفسه نهجاً حيادياً بالنسبة اليه، فهو لا يؤيده ولا ينابذه ويدير مبادئه وأحكامه. وهذا مما شاع على ألسنة العامة. او العلمانية وإن كانت تخالف الدين ومبادئه لكن لاتحاربه ولا تنضوي تحت لوائه ولكن تشتمل على الأفكار والمباديء التي تشكل الفكر (العلمي) والمساهمة (العلمية على حدّ قولهم في حل مشكلات التأريخ وهي المشكلات التي تعاني منها معظم بلاد المسلمين ويفهم من ادّعائهم انّها تشمل الفكر العلمي لحل المشكلات وبديلاً للاسلام في حل المشكلات على مقتضيات العلم وحده.

وترجع نشأة العلمانية في نظام الحكم والحياة الأجتماعية الى تأريخ ثورة الكنيسة، بعد ان ازداد شرّها على العلم والعلماء كما هو معروف ومدروس وقد سمت تلك الثورة تلطيفاً لها ومراعاة لمشاعر رجال الدين واحتراماً لمظهر الدين نفسه، بالإصلاح الديني. وقصر الإصلاح على مايخص صلة الإنسان بربه، بعيداً عن قضايا السياسية ونشاطات العلم. واعادة اعتبار الكنيسة والعودة الى الخضوع لسلطانها، ولكن ضمن هذا النطاق دون اي تجاوز له.

وقد تحققت هذه النتيجة على الجانب الإجتماعي والسياسي، واتخذت مضمونها القانوني والرسمي لأول مرة في اعقاب الثورة الفرنسية التي قامت في نهاية القرن الثامن عشر، حيث اعلنت العلمانية أساساً لنظام الدولة ومنهاجاً متبعاً لها[44].

---

(43) أبو عيسى، محمد بن حسين المصري، إشراف حسن عبد الحفيظ عبدالرحمن أبو الخير، مكتب التبيان للدراسات العربية، دار إبن الجوزي القاهرة، ط1/3011/ صفحة 839-840.

(44) البوطي، محمد سعيد رمضان. العقيدة الاسلامية، مؤسسة الوحدة- دمشق، 1983م، ص 347.

ان الترجمة الصحيحة للعلمانية يعني اللادينية او الدنيوية وهي دعوة الى اقامة الحياة على العلم الوضعي والعقلي ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين. وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، لأنها اسست ضد الكنيسة وهو اصطلاح لاصلة له بكلمة العلم واستعمال كلمة العلم لهذا المذهب الإلحادي خدعة مغرية يتموهون بصبغة العلم. وقد ظهرت في اوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت الى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي الى مصر وتركيا وايران ولبنان و سوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر[45].

2.3 والإلحاد القديم الوجودية

الوجودية: هي إتجاه أدبيٌ إلحادي فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويقول إن الإنسان له تفكير وحرية وإختيار وإرادة ولا يحتاج الى مرشد وموجه، وهو يلغي قيمة الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية.

وعدّ جملة من الإتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالموت والحياة والمعانات والآلم، لا يعدّ نظرية فلسفية واضحة المعالم. ولذا لم تستطع حتى الآن ان تثبت مكانها بين الأفكار والعقائد.

وجاءت الوجودية من أول نشأتها كرد فعل على تسلط الكنيسة وتحكمها في الإنسان باسم الدين كالعلمانية.

وتأثرت جداً بالعلمانية وغيرها من الحركات التي رفضت الدين والكنيسة، وتأثرت أيضاً بقاعدة سقرات الذي يقول (أعرف نفسك بنفسك)، وبصورة عامة أثرت الوجودية بكل الحركات الدّاعية الى الإلحاد والإباحية.

و اتخذوا الإلحادية مبدأ لأنفسهم ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج وخيمة مدمرة[46].

نشأة الوجودية

(45) الجهني، مانع بن حمّاد. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة. دار الندوة العالمية. طـ 5، 2003م. ج2، ص 679.

(46) أبو عيسى، محمد بن حسين، الموسوعة المفصلة، دار ابن الجوزي، ط1/30111، ج3/ ص903-904.

ويقول البوطي في تعريف المذهب الوجودية ومفهومها بقوله:

تعد الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية المعاصرة، بنظر اهلها الذين يتبيّنونها.

ويقول عن عوامل تها أنها اصدق تعبير عن حالة القلق العام الذي تملك العالم الشعور إلحاد به بعد الحرب العالمية الاولى والثانية. ولقد كان لهذين إلحادثتين اثر بالغ في إشعار الإنسانية بالمعاني الكبرى التي تؤلف نسيج وجودها، وفي وضعها بصورة كلية امام أكبر مصدر من مصادر قلقها، يعني الفناء الكامل الشامل الذي ينتظم الشعوب بأسرها، ممّا ولد إحساساً بالمأساة استغرق شعور كل فرد من افرادها[47].

ويمكن ان تجمع شتى أفكار المذاهب الوجودي في مقولة أساسية كبرى هي (الوجود الإنساني يسبق الماهية). ومعنى هذه العبارة وجود الشيء والمراد بالشيء ههنا الإنسان وهو الذي يحقق ماهيته بالتدرج، وليس العكس. ويقول سارتر فالماهية خيالا لامعنى له إلا بعد ان يتحقق وجود صاحب الماهية[48].

ولكي نكون على بصيرة في فهم تصورهم ومقاصدهم في فحوى كلامهم، ينبغي ان نقف عنده بشرح قليل اللفظ كثير المعنى وخير طريق الى ذلك ان نصغي الى أحد قادة هذا المذهب وهو يحاول ان يشرح لنا مقصودهم بهذا الكلام...

يقول: (جان بول سارتر) اننا نعني بهذا الكلام ان الإنسان يوجد أولاً بم يتعرّف الى نفسه ويحنك بالعالم الخارجي فتتكون له صفاته، ويختار لنفسه بنفسه اشياء هي التي تحدده. والمفهوم المخالف لهذا الكلام، إذا لم يكن للانسان في بداية حياته صفات محدودة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر على حد تعبيره. يعني بدأ ولم يكن شيئاً، وهو لن يكون شيئاً إلا بعد ذلك، ولن يكون سوي ماقدّره لنفسه) [49].

---

(47) البوطي، محمد سعيد رمضان. العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر. مطابع مؤسسة الوحدة. 1982م، ص 177. نقلا عن عبد الرحمن البدوي. دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 16.

(48) عبدالرحمن بدوي، الفلسفة الوجودية. بيروت، ط- 3/ ج1. 1973م، ص 16.

(49)البوطي، العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر، ص 178. نقله من كتاب الوجودية مذهب انساني لسارتر، ص 14.

وعند سارتر لن يهمّ قضية الإيمان بوجود الخالق. ويقول (ليست القضية أن تؤمن بوجود الخالق، ولكننا نعتقد ان المشكلة ليست وجوده أم لا، المشكلة هي ان الإنسان يجب ان يجد نفسه الضائعة، ويجب ان يقتنع أنّ آية قوة لايستطيع ان تخلّصه من نفسه.

ويقول سارتر أيضاً (فنحن نريد ان نقول إن الإنسان موجود قبل كل شيء). وهذه العبارة لم تكن في مستوى طفل له ذكاء خفيف، لكن الهدف في كلامهم إنتشار الفوضى بين افراد الناس[50].

ويمثّل البوطي رحمه الله بمثال تعليقاً على الوجودية لينتبهوا عن غيّهم وسكرهم وكردّ لهم في ظاهرة العبارة الآتية ويقول في عنوان مثاله، من أين؟ إلى أين؟ ويقول:

ارأيت الى رجل فتح عينيه بعد نوم طويل، وبَدَلاً من ان يجد نفسه يتقلب على فراشه في غرفة نومه، رأى نفسه داخل مقصورة من قطار، يسير به السيّر الى حيث لايدري، ويخترق جبالاً ووديانا لم يرها ولا علم له بها من الذي زجه فاقعده في هذا القطار؟

ومتى كان ذلك ومن الذي يسوقه، انّه لايعلم من ذلك كله شيئاً. أيمكن لهذا الرجل أن يسئل عن هذا كلّه ثم ان يتشاغل، لاهياً ساهياً بما يراه من جمال الطريق وغرابة المشاهد؟ افيمكن ان يتخذ لنفسه من ذلك شاغلاً عما يفرضه عليه سلطان الفكر والعقل، من القلق والاضطراب بسبب تقلبه، الذي لا إختيار له فيه، في بحر ذلك المجهول؟

ومع ذلك فالمشكلة صغيرة نسبياً، عندما يكون حجم القطار محدوداً ومحاطاً بعالم لايخفى معالمه وطبيعته، إذ انه مع ما شرق به او غرّب فلن يخرج من قطاره ولن يحوب إلا داخل ارضه.

ولكن المشكلة تغدو كبيرة وكبيرة جداً، عندما يكون القطار هو هذا العالم كله. وعندما تكون حركته متمثلة في سلسلة هذه الحياة الإنسانية من حيث هي. انها هنا جهالة مطلقة مطبقة وليست جهالة نسبية تحيط بها مساحات مكانية او زمانية معلومة. فنحن فتحنا اعيننا منذ طفولتنا الأولى على حياة لانعلم شيئاً عن مصدرها ومنتهاها ومهما سألنا العلم فإنّه لايزيد على ان يضعنا امام امتدادات زمانية ومكانية لاحصر لها ربما تصدت الفلسفة الوجودية.

(50) علاء بكر، مذاهب فكرية في الميزان. ط، 2011م، الأسكندرية. ص 347- 351.

للاجابة على هذا السؤال وربما زعم بعض اقطابها ان هذه الاجابة تأتي باسم هذه الخليقة الإنسانية جمعاء، وان لم ينطق بها غيرهم.

وملخص الجواب ان الأجيال الإنسانية عانت منذ احقاب بعيدة تجربة البحث عن اجوبة مقنعة عن هذه الأسئلة، على شتى مستوياتها الفكرية والعلمية، بدءاً من الفلاسفة الأفذاذ ونهاية عند ذوي البصيرة الثاقبة العالية من عامة الناس، فلم يصلوا الى ايّ إجابة شافية، ولا عثروا على أيّ يقين مطمئن [51] وأرى ان طلب العلم والمعرفة عن أسرار هذا الكون مع دقة عجائبه وأسرار خلق الإنسان فيه، طلب يؤوس لا يبلغ أحد من النّاس إليه إلا ما أشار إليه الخالق في الخبر الصّادق، لأنّ معرفة أسرار الكون وما فيها يرجع إلى العقل من غير ما أشار اليه الخالق، وللعقل حدٌ لا يتجاوز عنها، كما للرؤية حدٌ لا يتجاوز عنها، ولذا يلزم علينا ان نقول لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا.

ويقول البوطي رحمه الله في تعليقه على الاجابة التي يردّدها أئمة المذاهب الوجودي فعلاً، هو: هل استطاع الإنسان في ماضيه او حاضره ان يصل الى اماني هذا اليأس او ان ينتهي به البحث الى ارفع درجات القلق، ثم يجعل من يأسه تعويضاً عن الأمل، ويركن في سعادة الى ما يعانيه من القلق؟

ويمضي في تعليقه على الاجابة، بقوله ان الإنسان الغربي يحتاج كثيراً اليوم الى هذه الجرعة الدوائية لوكان فيها شفاؤه المزعوم، ولقد سمعها واصغى اليها من وجوديين فرنسيين والمان وانجليز ودانماركيين. ومع ذلك فانه لايزال يعاني من معاناته، لم يتأقلم مع يأسه، ولم يركن بأي استئناس الى قلقه، وعلم ذلك كله عند الأطباء النفسيين والطوابير المتزايدة على عياداتهم، ويقول البوطي ، وانا لا أنكر أن في انصراف الإنسان الى أهوائه و حاجاته العضوية مايشغله عن الرهق الفكري الذي يلاحقه بحثاً عن قصة هذا الانصراف لن يستمر إلاّ الى حين [52].

والحاصل ان الإنسان يشعر مع الوجودية انه وحيد شقي غريب يائس في هذه الحياة لأنهم تتنكرون لكل البشرية من قيم وعلوم ومثل. فهي لاتأبه بها بل تنادي بتجاهلها ليبدأ الإنسان من جديد

(51) البوطي، محمد سعيد رمضان، مدخل الى فهم الجذور، دار الفكر، دمشق 2006م، ص 11.

(52) البوطى، المصدر نفسه ، ص 11

مع جعل البداية سيئة تنطلق من الإلحاد وشجب الأديان، فلايرجى من ورائها إلا الشر والفساد. وهي تجعل الفرد منعزلاً عن الوجود العام لاجزءً منه[53].

أرى أن مذهب الوجودية مذهب جنونية متهورة غير قابلة لان يقال لهم فلسفة لان هذه الفكرة مبنية على القلق والبأس والتشكيك حتى من وجود نفسه وخلقه ويقول ان الإنسان خلق نفسه بنفسه، هل يتوقع في تصور العاقل ان يكون الإنسان خالقاً لنفسه ومخلوقاً في نفس الوقت. هيهات هيهات لما توعدون، وهيهات لما تقولون وتفعلون.

وهل يمكن ان يكون هذا الكائن العظيم الدقيق لم يكن له مدبر يدبر امره في تقلباته ومعاناته في الحياة الدنيا وبعد موته ورجوعه الى الاخرة ليجزيه ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشرٌ.

وان لم يكن كذلك فلايبقى معنى للحياة ولا لخلق الكون بما فيها من انظمة ونظام وعجائب، ولا للمادة التي يعتقدون بالهيّتها وانكار وجود الخالق أساساً لها ولخالقيتها. يعني يؤمنون بخالقية المادة ولا يؤمنون بخالق المادة وهو الله سبحانه وتعالى.

ويشعر الإنسان مع الوجودية بقلق وسحق وتحسر وتكسر ويأس ولايؤمن بشخصيته وانسانيته مطلقاً بل يحسب نفسه ريشة تافهة يتحرك مع تحرك الهواء.

ولم تكن جديراً بان تُكتبُ اسم الوجودية على صفحات التأريخ كما هي مكتوب ولكن الهدف من الاهتمام بهذا التيار الجاهلة المنهارة الملحدة وأفكارها الخبيثة، لأنها فاكهة لذيذة في فم الملحدين والملحدات لإثارة الاباحية والئلا اخلاقية وانتشار الفوضى والاباحية الجنسية بين المراهقين والمراهقات، وهذه المفاسد كلها من انكار وجود الله سبحانه وتعالى. ويقول الفيلسوف الروسي (دستوفسكي) إذا لم يكن الله موجوداً فان كلّ شيء يصبح مسموحاً.

رد البوطي رحمه الله على المذهب الوجودي يقول: تبين لنا مما ذكرناه، نقلاً عن ارباب الفكر الوجودي ودعاته، إن هذا المذهب تعبير عن حالة القلق العام الذي ساور الناس بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية. وعلى ما فهمنا فنحن امام اعتراف صريح، بأنّ القاعدة الخاطئة التي تنهض عليها تصورات هذا المذهب، هي حالة نفسية، سقيمة، الا وهي القلق الذي اصاب اصحابه

(53) علاء بكر، مذاهب فكرية في الميزان، ص 351.

وليست اكتشافاً علمياً قاد اليه الفكر والعقل. وإذا كان هذا هو منطلق المذهب الوجودي، فمن الثابت يقيناً انه ليس حجة إلا على اصحابه. فان القلق من شأنه ان يدفع باصحابه في كل سبيل، بل ما أكثر ما قد يزج بهم في طريق الجنون.

وقد علمنا لدى إصغائنا الى مايقصدونه من هذا الكلام العجيب، (الوجود يسبق الماهية) ان الإنسان يكون في شأنه الأولى التي تبدأ بالولادة، وجوداً فارغاً من المضمون هو الماهية، يعني فهو لاشيء آنذاك، ثم يمتلأ فراغه الوجودي بعد ذلك تدريجاً بما يحققه هذا الإنسان لنفسه ويختاره وانما تتحقق هويته من مجموع هذا الذي حققه في ذاته تدريجياً عن طريق حريته واختياره، إذ يمارسها ممارسة فعّالة.

ويقول: البوطي رحمه الله في ردّهم لكلامهم

اولاً. إذا كانت هذه الأفكار تعبيراً عن مذهب فلسفي كما يقولون، فان على اصحابها ان يلتزموا بابجدية المواضعات والمصطلحات المنطقية او الفلسفية المفروع منها والمبتوت بشأنها فلا يطولها اي خلاف او نزاع حوله، إذ هي ليست نقاط نظر وبحث بمقدار ما هي أدوات او اصطلاحات متفق على مضامينها للتعبير بها عن أصول ومعان أساسية متكررة. او عليهم- إذا لم يريدوا الإلتزام بتلك المواضعات التي درج عليها دارسوا هذا الفن على اختلاف مذاهبهم ومنذ اقدم العصور. ماذا يراد بكلمة (الماهية) و (الظاهرات) او(الجوهر والعرض) في اصطلاح الفلاسفة على اختلاف أفكارهم ومذاهبهم؟ الّذي نعرفه من الكلمتين الى هذه اللحظة، ان ماهية الشيء ما يتحقق به ذاتية الشيء ويستحق إطلاق اسمه عليه.

والظاهرات او الأعراض تلك الصفات التي تعرض للماهية مما لايستقل وجوده بنفسه، بل لابد ان يتقوّم بغيره، كاللون، والطول والعرض والصلابة والليونة... الخ.

فإذا شئنا ان نبقي هذه المعلومات في رؤسنا، ثم اصغينا الى هذا القرار القائل ان وجود الشيء يسبق ماهيته، فإننا لن نفهم من هذا الكلام إلا معنى متهافتاً متناقضاً. إذا وجد الإنسان، فلا معنى لوجوده الا تحقق ماهيته على الصعيد الخارجي. فإذا كابرنا وفرضنا انه وجد في لحظة من اللحظات قبل ان توجد ماهيته: أي وجد مايسمى (انساناً) دون ان يكون مزوداً بماهيته، فان ذلك

يستلزم نتيجتين حتميتين. احداهما ان ماهية الشيء قد تنفك عنه فلا توجد معه. فأيّ معنى يبقى إذن لكونها ماهية؟ وما الفرق الذي يبقى بينهما وبين الظاهرات او الاعراض.

النتيجة الثانية ان يكون للوجود، من حيث هو معنى، قائم بذاته قد يتحقق في الخارج دون ان يكون هذا الوجود كسوة لأيّ ذات تتسم بالوجود. وعندئذٍ يصبح معنى قولنا (ان وجود الإنسان يسبق ماهيته) ان الوجود الإنساني يكون في اول نشأة الإنسان الذي لم ينشأ في حقيقته بعد، على تصور الوجوديين مجرد ثوب فارغ من لابسه، ينتظر ان يأتي صاحبه فينسكب منه.

ايلزم الوجوديون بهاتين النتيجتين، وهما من المستلزمات التي لايمكن انفكاكها عن قرارهم الذي هو حقاً عجيب؟ (54).

ثانياً. إذا كانت الماهية متأخرة في وجودها عن وجود الإنسان، كما يقولون، فلابد ان يكون ظواهر الماهية هي الاخرى متأخرة عنه من باب اولى، لان ظواهر الماهية تابعة لها في الوجود والعدم. وإذن فلا ماهية الإنسان موجودة ولا الظواهر المتلبسة به موجودة في نشأة الإنسان الاولى فما الموجود إذن؟ ...

وكيف ينتظر من هذا الإنسان ان يبدأ فيحقق ذاته (على حد تعبيرهم) مع ان هذا الذي سيتولى ذلك غير موجود بعد، إذ هو ليس شيئاً أكثر من ماهيته وكلتاهما غير موجودتين، طبقاً لقرارهم الذي يلحون عليه ويعتقدوا به ويحسبون انهم في عملهم يحسنون صنعاً، اولئك هم الضالون في اعتقادهم وادّعائهم الباطلة (55).

ويقول البوطي رحمه الله في ردّه الوصفي لهذا المذهب المشؤم من قوله ما قرأت فصلاً في كتاب من كتب هؤلاء الوجوديين، الا ووجدتني اصغي الى كلام شعريّي حاكم أكثر من ان اتأمل تحليلاً فلسفيا لواقع: ... ولو انّهم اعترفوا انّهم انما يصدرون في هذا الذي يكتبونه عن شعر منشور، لأ صغينا إليهم كما نصغي الى الشعراء كافة، بعيداً عن المحاكمة العقلية ومرهقات النظر والتأمل، ولربّما تملكتنا النشوة من مبالغتهم وتصوراتهم. وقلنا ما يقول العرب عن الشعر (أعذب الشعر

(54) البوطي، محمد سعيد رمضان. المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. دار الفكر. دمشق 2008م، ص 241-245.

(55) البوطي، المصدر نفسه، ص 245.

أكذبه) ولكن البلاء الاطم انّهم يصنفون أنفسهم مع الفلاسفة، ويخاطبوننا على هذا الأساس، ويريدوننا ان نفهمهم على هذا الإعتبار، فما رأينا إلا كلاماً متهافتاً واحلاماً تستعصى على الواقع والفاظاً تطلق على مدلولات لم يقل بها فلاسفة ولا علماء ولا مناطقة من قبل[56].

ويقول البوطي رحمه الله ردّاً على كلامهم المتهافت واحلامهم المريضة رداً ضمنياً لقولهم بعبثية الحياة الإنسانية في هذا النظام الكوني الدقيق.

إذا استعرضنا جوانب هذا الكون واجزائهعلى اختلافها، لم نجد فيه مظهراً لعبث. لان كل ماتراه ابصارنا، او تدركه بصائرنا، بدءاً من الذرة وجزئيّاتها الى الافلاك وتحركاتها، الى ماوراء ذلك من المجرات، عاكف على وظيفة لايسترد عنها، منضبط بنظام لايتحول عنه، وسواء انظرت الى الأشياء في هياكلها الكلية، او من خلال اجزائها التركيبية، فان الأمر لايختلف. الكل والاجزاء واجزاء الاجزاء، ماض في مهافه عاكف على وظيفته، حادّ في تحمّل اعبائه والسّيّر الى غاياته. وفي هذا تكذبهم في اقوالهم السقيمة جدية هذا النظام الكوني الفصيح[57].

أرى أنّ أقوال المذهب الوجودي إدّعاء بلا دليل، وعنادٌ محض لا يريدون أن يعترفوا بأخطائهم في أفكارهم المهزوزة، مثلهم من قبيل من يرى غراباً في فلاةٍ ويقول عناداً لم يكن هذا عراباً بل معزاً مع علمهم بماهيته انّه غراب لا معزٌ.

2. 3. من الإلحاد الجديد الشيوعية والماسونية

الشيوعية نظام إقتصادي وسياسي يبنى على إشاعة الملكية، وتنفيذ العدل الاجتماعي. وللشّيوعية معنى مطلق، خارج النظامية والسياسية وهو المعنى اللغوي الذي ذهب إليه (أفلاطون) في قوله بشيوعية كلّ شيء، كشيوعيّة الأموال والأطفال والنّساء وللشيوعية أيضاً معنى خاص، وهو التنظيم الاجتماعي والأموالي المبني على الملكية المشتركة من جانب، وعلى تسلّط وتدخل الدّولة من جانب ثانية وحاصل ما يتبين من العبارة الماضية، ان المبدأ الشيوعي لا ينحصر في

(56) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، ص 245- 255.

(57) البوطي، مدخل الى فهم الجذور. ص 26- 27.

القول الذي يقول المذهب الشيوعي:إنّ لكل إنسان ما يستحقه بحسب عمله، بل يتضمن القول بوجوب عمل كل فرد على قدر طاقته، وأخذه على قدر حاجته. وكلمة الشيوعي الإسم المنسوب الى الشّيوعية، والإشتراكية[58].

وأرى ان الشيوعية لا تستحق ان يقال إن له منهجا ولا طريقا للتّمسك بها لأنّهم قالوا الشيوعية للشّعوب وقد فعلواعكس ذلك، حيث نرى من تسلّط الشّيوعية على الشعوب بالحديد والنّار وتجويع النّاس باسم الاشتراكية والعدل الاجتماعي وسائر ما فعلوا من المهلكات.

الشيوعية: اسّس هذا المذهب كارل ماركس وفردريك انجلز، وإنّها من الاجزاء المكوّنة للماركسية،و أحد مذاهب الإلحاد الجديد.

وموضوع بحث الشيوعية هو القوانين التي تحكم ميلاد وتطور النظام الإقتصادي الاجتماعي الشيوعي وتحدد أهمية تطور العمل الإشتراكي الى العمل الشيوعي والمحور الكافل للفروق الطبقية، ومحور الفروق في الثقافة، والتقريب على نحو اكبر بين الأمم والثقافات القومية والتقدم نحو التجانس الاجتماعي[59].

ان التعريف الذي يعرّف بنا الشيوعية تعريفاً جامعاً ومانعاً شمولياً قوله تعالى: اَفَرَاَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ هَوٰيهُ وَاَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلٰى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلٰى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلٰى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ اَفَلَا تَذَكَّرُونَ [60].

والنظرية الشيوعية مفهوم آخر في (معجم المصطلحات العصرية) تقوم النظرية الشيوعية على مجموعة من الأسس والمباديء يمكن تلخيصها في النقات الآتية:

1. الغاء الملكية الفردية إلغاءً باتاً واحلال الملكية الجماعية بدلاً منها.
2. الغاء الطبقات بإقامة دكتاتورية البروليتاريا وابادة الطبقات الأخرى.
3. كفالة الدولة لجميع (المواطنين) في مقابل تكليف القادرين منهم بالعمل رجالاً ونساءً.

---

(58)صليبا، جميل ، المعجم الفلسفي، ط1385/1، قم طهران، منشورات ذوي القربى، ج1/ص715.

(59) البوطي، وهانز كينغ. دور الأديان في السلام العالمي، ص 186.

(60) سورة الجاثية: 45/ 23.

4. المساواة في الأجور.

5. الغاء الدّين حتى سمو الدين بـ (افيون الشعوب) والمعبود في الشيوعية او الاشتراكية ليس الله قطعاً بتصريحهم بافواههم: لااله والكون مادة (اي بلا خالق) وقد يكون الإله عندهم هو المادة او هو الدولة او هو الحزب او هو النظام او هو الزعيم. ولكنه على اي حال ليس إله.

6. تطبيق مبدأ (من كل بحسب طاقته، ولكل بحسب حاجته).

7. إلغاء الصراع من المجتمع البشري بالغاء الباعث عليه وهو الملكية الفردية.

8. ومن طرقهم إباحة النساء والخمور والماء والكلأ.

وفي عقيدتهم المنهارة الناس يشتركون في هذه الأشياء الأربعة وغير ذلك لدعوتهم الى الغاء الدين، لأن الشيوعية الملتزمة بشيوعيتهم لايؤمنون بالعقود والملكية كعقد الزواج وحرمة الخمر وشعارهم الوحدة، والحرية، والاشتراكية. وحكاية هذه الأقوال تكفي في بيان بطلانها، وقد ظهر للعالم اجمع فساد النظرية الشيوعية، وما لحق اصحابها من الذل والهوان[61].

وتعرف الفلسفة الشيوعية باسم ((المادية الجدلية) فهي ((مادية) لأنها تتمسك بان الدنيا المادية وحدها هي التي لها صفة الحقيقة او الواقع بخلاف ماينتجه العقل، كالأفكار مثلاً، فهو مجرد انعكاسات لهذه الدنيا المادية[62].

ويقول البوطي رحمه الله في أساس ومفهوم المذهب الشيوعي في جملته، ينقسم الى أساس وفروع.

أما الأساس: فهو الفلسفة الماركسية التي تتخلّص في زعم ان (الاحداث التأريخية كلها انما تكوّنها المادة فحسب او تكونها المنافع المادية لدى الجماعات.

يعني ان القصد الى المنافع المادية المحسوسة هو الذي يقود الحركة الحضارية والإجتماعية والفكرية والوجدانية عبر التأريخ والدهور الغابرة المتتالية.

---

(61) ابي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري. دار الآثار، القاهرة 2012م، ط- 1، ص 392- 394.

(62) ر. ن. كاريوهنت، قاموس الشيوعية، ترجمة: عمر الاسكندري، دار الكتاب المصري 1956م، ص 68.

ويقول البوطي: ان هذا التلخيص لفلسفة ماركس، انما اخذناه وكتبناه من شروح اصدقاء ماركس أنفسهم، كي لاندع اي نقد يتجه الينا حول تقريره. وإلاّ فهناك شرح آخر لمادّية ماركس، تبنّاه في معظم الاحيان اعداؤه ونقاده ويتلخص هذا الشرح في ان ماركس يرى انّ (مظاهر الحياة كلها، عبر التأريخ كله، ان هي إلا مادة بحتة في جوهرها وحقيقتها). ويقول البوطي رحمه الله ان وجود النزعة المادية هذه في نفس ماركس ترجع الى تفاعل وجداني مجرّد عن اي معيار من المعايير المادية، يستطيع ان يتأكد من هذا حينما يلاحظ ظروف ماركس النفسية التي جاءت بين يدي نظريته هذه، وهي النزعة المادية.

هذه الظروف، هي انه تأثر بحب فتات بارعة الجمال إبان دراسته للحقوق في جامعة (بون) وكان شاباً عمره عشرين سنة والفتاة اسمها (جيني) هي حفيدة مستشار الدوق (دي برونشويك) انها من طبقة، وماركس من طبقة اخرى فلايمكن للتقاليد ان تتسامح في زواجه منها[63].

وهذا الحدث تأثر على نفسية وشخصية ماركس وأفكاره على الطبقية، وأنشأ فكرته على هذا النمط الضعيف كما نرى ونسمع في محاورات اتباعه واعوانه الى يومنا هذا على نفس الفكرة.

1.3.3 فروع المذهب الشيوعي

تكلمنا عن أساس المذهب الشيوعي باختصار ونبحث الآن عن فروعه التي نتجت عنه، وأعلن بأنها اركان ومقومات للمجتمع الشيوعي المادي.. ولنعد هذه الاركان اولاً كي نتصور المذهب الشيوعي في مجموعه العضوي، ثم نتحرى مدى امكانية التطبيق العملي لتلك الأركان في العالم الشيوعي.

أولاً. استيلاء البروليتاريا على الحكم. هذا أول ضرورة من ضرورات قيام العهد الشيوعي.

ويرد البوطي رحمه الله على هذا الإدّعاء وحجة هذه الضرورة بانها قول بلا عمل. ويقول في جوابهم وردّهم:

نحن لاننناقش صحة هذه الضرورة او عدمها بل نأخذها بعين الإعتبار، نفرض التسليم بها، ولكنا نتساءل: هل وجدت هذه الضرورة في يوم من ايام العهد الشيوعي في روسيا؟ هل الطبقة

(63) البوطي، البدايات باكورة (أعمالى الفكرية). ص 176- 178.

الكادحة هي التي استولت على الحكم وادارت نظامه، لا كلاّ والله لم يكن كذلك، هيهات هيهات لما توعدون وهكذا نجد ان الضرورة الاولى لم يتحقق منها شيء من الأشياء في يوم من الأيام.

ثانياً. القضاء على رأس المال والربح الناتج منه ولكن هل أمكن لهذا القانون ان يطبق؟ هل اختفى شيء اسمه رأس المال او الربح من العالم الشيوعي؟

ان الذي حصل في روسيا هو ان وسائل الإنتاج ورؤس الأموال قد اختفت فعلاً من ايدي الأفراد، ولكن لاتتلاشى في ايد المجموع، بل تتجمع تحت يد الدولة. أي تحت يد الحزب الشيوعي. وهذه الضرورة لم تكن كما قالوا.

والضرورة الثالثة من ضرورات المذهب الشيوعي تأميم الإنتاج ومصادر الثروة وجعلها ملكاً للمجموع. ومعنى المجموع حسبما يعرفه علماء الإقتصاد: شخص معنوي يتمثل في جميع افراد الدولة. لم يكن له حقيقة. وعلى هذا فان الانصاف يقتضينا ان نعترف بنيل هذا المبدأ الإنساني، إذ ليس أحسن من ان تعم مصادر الثروة ووسائلها بين الجميع على التساوي.

ولكن طبق شيء من هذا ام هو القول المجرد عن التطبيق كالضرورة الأولى والثانية لايزال يتخذ مكانه بين المغيبات والمجردات.

لقد اصبحت وسائل الإنتاج في الاتحاد السوفيتي فعلاً ملكاً للمجموع، ولكن المجموع في اصطلاح الإقتصاد الشيوعي هو الحزب الشيوعي فقط. بل هو القادة فقط من الحزب الشيوعي ومصادر الثروة فقد بقيت كما كانت في ايدي افراد، من القادة الحزب الشيوعي لا المواطنين كما يدّعون ويقولون في إدّعائاتهم الكاذبة بان الناس سواسية لافرق بين الطبقات الإنسانية في الحق والحقوق. بل وافراد اشد استبداداً من خلفائهم السابقين.

والضرورة الرابعة من ضروريات الحياة الشيوعية القولية دون العملية فهي انمحاق الفروق الطبقية عن آخرها، وايجاد مجتمع ديموقراطي في مستوى واحد. وهي ضرورة ذات اهمية قصوى في نظر الشيوعيين اخذت بعين الاعتبار منذ المؤسس الأول للشيوعية ماركس الى خلفائه في هذا اليوم(*).

(*) لاتنسى هذا الكلام كتب في عام 1958م.

وزادت التفرقة بين الطبقات ثم سترت هذه الفوارق بغلاف من المساوات في الفقر والصراع حول لقمة الخبز بين الطبقة الكادحة من العمّال والفلاّحين[64].

ولكن النظام الشيوعي في الواقع التطبيقي تتناقض تناقضاً بعيداً مع أفكارها النظرية التي تدّعي الشيوعية، انّها تدّعي ان القوانين الاجتماعية تقضي بالتغير الى الاشتراكية في دعواهم وذلك بصفة حتمية كما يدّعون ولكن يلزم ان نقول لهم هيهات هيهات لما تقولون. إذا كان دعواكم كذلك

فلماذا الارهاب الاستبدادي الذي تقوم به الشيوعيون بدأ واستمراراً، فرص سلطانهم ونظامهم؟! ولماذا يفرضون في مجتمعاتهم (دكتاتورية) هي (قوى الدكتاتوريات) المستبدة الارهابية في تأريخ الناس؟ وهذه الحقيقة اشهد شاهد على مخالفة قولهم من عملهم[65].

والضرورة الخامسة هو القضاء لا على مجرد الطبقات فحسب، بل القضاء على الدولة باجمع مؤسساتها الدولية. لأن المعنى المشاعي الذي تتكفل به الشيوعية لايتم إلا بعد القضاء على الدولة. هكذا يعتقد ماركس، وهي نفسها أيضاً العقيدة الراسخة في صدر سائر خلفائه من الشيوعيين. فهل زالت الدولة الشيوعية حتى بعد مرور اربعين سنة من تغني الشيوعيين في روسية بشيوعيتهم والدعوة اليها خارج بلادهم؟

ويقول البوطي رحمه الله:

اعرض عن هذا الكلام او ليس سؤالنا هذا نفسه شيأً مضحكاً يشبه سؤالنا عما إذا استطاعة هذه الخشبة ان تصبح قطعة ذهب او حديد؟! ان هنالك دولة، وايّ دولة، دولة هرمية كبرى يحكمها آخر حجر في رأس الهرم.. دولة تقود حياة الملايين بسوط العنف والاكراه.. دولة تنتزع الآهات من الصدور ثم تكمم امامها الافواه[66]. وحاصل ما فهمنا مما مضى، ان الشيوعية في جوهرها هي حركة ثورية تتمسك بوجوب تغير بناء المجتمع من أساسه. وتنكر انه من الممكن بلوغ ذلك

(64) البوطي، البدايات باكورة اعمالي الفكرية. ص 81- 196.

(65) الميداني، عبدالرحمن حسن حبّنكة، الكيد الأحمد. دار القلم. دمشق، ط- 4/ 2012م. ص 168.

(66) البوطي، البدايات باكورة اعمالي الفكرية. ص 197- 198.

بالوسائل السليمة، او انها على الاقل تنكر امكان ذلك في اقليم واحد مادامت الطبقة (البرجوازية) (الرأسمالية) تعارضه[67].

ويقول البوطي رحمه الله في ردّ المذاهب الشيوعي ودعاياتهم الكاذبة واهدافهم المريضة والمخزية، بقوله: يدل جميع ماقلناه الى الآن على ان المذهب الشيوعي لم يصلح للتطبيق في بلاد الشيوعيين أنفسهم. ومن باب اولى ألاّ يصلح هذا المذهب للتطبيق إذن في بلادنا نحن. لا لأننا لانرضى التطور والاستفادة من خبرات الاخرين، بل لأن بلادنا هذه مرت بنظم اقتصادية كانت طوال قرون عديدة نموزجاً رائعاً للنظام الواقعي المتجارب مع الفطرة البشرية، والعدالة الإجتماعية في آن واحد. فلماذا لانعود ونرجع الى النظام القويم المجرّب الذّي سعدت به أجيال عدّة عبر تأريخنا الإسلامي والعربي بدلاً من ان نعمد فنجرب النظام الّذي سجّل إخفاقه وشقاء مجربيه بسببه شقاءً فيه خزي الدنيا وعذاب الآخرة[68].

قال البوطي رحمه الله في قصة قصصه له أحد اصدقائه من المهندسين التشيكيين قال وهو ينظر الى مظاهرة تخترق الشارع منددة بالشيوعيين. قال له وهو يهمس بقوله: (اقتلوا أنفسكم ولا تصبحوا مثلنا شيوعيين. ثم كشف له عن باطن ساق بنطلونه يريه كيف اضطّر ان يرقع مكان الركبة منه بالجلد كي يضمن له صلاحية اللبس الى ان يتمكن من الحصول على غيره[69].

4.3 الماسونية هي أحد مذاهب الإلحاد الجديد

الماسونية هي كلمة معناها البنّائين الأحرار على حدّ إصطلاح أتباعها الملحدة إنّ هذه المنظمة تعملون على إنحلال الأديان ومحاربة الأديان غير اليهودية وإنها فتنة عظيمة في بداية نشأتها الى زماننا هذا.

وهذه الفكرة هي فكرة منظمة يهودية سرية هدّامة إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف الى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعوا الى الإلحاد والإباحية.

---

(67) ر.ن. كاريوهنت، قاموس الشيوعية، ص 7.

(68) البوطي، البدايات باكورة اعمالي الفكرية. ص 211- 212.

(69) البوطي، المصدر نفسه. ص 211.

ويقول (إسحاق بيرم) اليهودي في أهمية الماسونية في إفتتاح منظمة اليانس التي لها فروع في العراق آنذاك، بقوله انّ الإتحاد الذي نعمل لأجله ليس بإتحادٍ دولي، إنما هو إتحاد يهودي عالمي، ويجب ان تستولى الفكرة اليهودية على العالم بواسطة الماسونية.

وفي تصورنا عملٌ لا مثيل له وإنتصار العملية مؤكدٌ، وإنّ الشبكة التي القاها بنو إسرائيل تبتلع العالم يوماً بعد يوم، ولابدّ لنا من أخذ الغرض لعملنا بدون ان نهّابٌ أو نخاف من أحد، وجديرٌ بنا أن نقول للعالم انّ يوم انتقال ثروتهم الى بني إسرائيل ليس ببعيدٍ[70].

ويقول البوطي رحمه الله في مفهوم الماسونية هي من أقدم التنظيمات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية، وتأسست في سنة 1931. وهو تنظيم حزبي موغل في السرّية، سواء من حيث اهدافُه الإنسانية البعيدة ام من حيث تنظيماته الإدارية والشكلية. الا ان دعاته كانوا ومازالوا يبثون في الناس، انها تنظيم انساني يستهدف اقامة منظمة واسعة من التعاون الإنساني المطلق، على اوسع رقعة فوق الأرض دون ان تضيق من مساحتها او يفض من قيمة هذا التعاون اي فوارق دينية او مذهبية او عرقية او طبقية.

وكثير من الناس يميلون الى الماسونية املاً منها بالاستفادة من هذا الاتجاه والهدف، والهدف الإنساني العام. لاسيما اصحاب المصالح وفي مقدمتهم اصحاب الطموحات السياسية والمناصب الرفيعة.

وثبت لجميع الباحثين في مختلف بقاع العالم، ان الماسونية واحدة من أخطر التنظيمات اليهودية القديمة المتجددة. وهي تقوم على دعامة التناصر الإنساني في الظاهر لتجذب اليها أكبر قدر من اولى المصالح والنفوذ في العالم. وفي الحقيقة يجدر بالماسونية ان تعد مع التنظيمات الاجتماعية والسياسية الهدامة، لا الفِرق الدينية الخارجة عن الملة.

غير ان من اخطر مظاهر هذا التنظيم بالذات انه قائم في حقيقته على نبذ الإسلام والكيد له، وانه يستهدف قطع شرايينه وشلّ حركته عن طريق استقطاب الناس في اوسع دائرة عالمية باسم التناصر والتعاون[71].

---

(70) الطائي، كمال الدين عبدالمحسن، التوحيد والفرق المعاصرة سلمان الأعظمي، بغداد، ط 1973، ص333.

(71) البوطي، المذاهب التوحيدية. ص 129.

ويقول البوطي في حقّ هذه المنظمة الإلحادية وجواب من يقول ان الانتماء والانضواء في هذا التنظيم الماسونية لم يستلزم الخروج والبراءة عن الملة الإسلامية الحنيفة، هيهات هيهات لما تقولون، ان الانضواء في هذا التنظيم (مع معرفة ماله من هذه الاهداف الشريرة القائمة في مجملها على محور الصهيونية العالمية يستلزم خروجاً عن الملة الإسلامية الحنيفة. لان الرضا بالكفر كفر.

اما الذين يستهويهم الانتساب الى هذه المنظمة دون علم بحقيقتها وخلفياتها وانما رغبتهم فيها العمل على تيسير السبيل الى مصالحهم الدنيوية، فلايجوز اخراجهم بذلك عن الملة، وانما ينطبق عليهم المثل القائل: (صاحب الحاجة ارعن لايروم الا قضاءها) وانه بحاجة الى من يعرفه على مايجهل ويوقظه من رعونته قبل ان يصبح ضحية لها[72].

ومما تدل على إلحادية الماسونية ان الماسونيين واليهود قد ارتبطوا بشعار واحد وهو (نجمة داوود المسدسة) وهما الابناء الروحييون لبناة هيكل سليمان[73].

وحاصل ما فهمنا من فهم الباحثين عن الماسونية أنها منظمة يهودية سرّية هدّامة ارهابية إلحادية تهدف الى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعوا الى الإلحاد والإباحية والفساد. وتتستر تحت شعارات خدّاعة (حرية- إخاء- مساواة- انسانية) [74].

(72) البوطي، المصدر نفسه. ص 130.

(73) الطائي، كمال الدين، رسالة في التوحيد والفرق المعاصر. سلمان الأعظمي، بغداد 1972م، ص 233.

(74) ابي محمد عبد المجيد بن يحيى بن زيد الحجوري، معجم المصطلحات العصرية. دار الآثار- القاهرة. 2012م، ص 507.

الفصل الثاني

رد البوطي على النظريات الإلحادية

2. ردّ البوطي على النظريات الإلحادية

نذكرفي هذا البحث ردود البوطي على النظريات الإلحادية من المادية الجدلية والمادية التاريخية مستندًا على كتبه بشكل خاص، والمصادر الأخرى الدينية بشكل عام.

1.2. ردّ البوطي على المادية الجدلية والمادية التأريخية

نذكر أولاً أفكار الماديين الجدليين والماديين التاريخيين الغربيين، ثم نسرد آراء البوطي راداً عليهم.

2. 1. 1. ردّ البوطي على المادية الجدلية

الجدلية او الديالكتيك تعبر عن التفاعل بين الشيء وذات الشيء، على نحو يدفعه الى التطوير والعودة الى ذاته بشكل ارقي وأجدي، على طريقة السلم اللولبي الذي تتراكب ادواره الصاعدة على ذاته، اي على محوره[75].

ولهذا تعرف الفلسفة الشيوعية باسم المادة الجدلية. فهي (مادية) لأنها تتمسك بأن الدنيا المادية وحدها هي التي لها صفة الحقيقة أو الواقع بخلاف ما ينتجه العقل، كالأفكار مثلاً. فهى مجرد انعكاسات لهذه الدنيا المادية. وبعبارة أحسن هى انعكاسات لمجموعة الإنتاج المادي الموجودة في وقت معين. ولكنها (اي الفلسفة الشيوعية) في نفس الوقت تعول (على الجدلية المنطقية) أيضاً، ومعنى ذلك ان كل تغير بمعنى التطور او التقدم، هو دائماً نتيجة تنازع بين قوتين او عنصرين متضادين او متناقضين في داخل نطاق الحقيقة بمعنا المتقدم[76].

وقد رد البوطي على المادية الماركسية والتي تتكون من ثلاثة أصول:

1. وحدة الاضداد وصراعها.
2. تحول الكم الى كيف.
3. نفي النفي.

---

(75) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص 143.

(76) ر.ن.كاريوهنت. قاموس الشيوعية، ص 68.

مثال وحدة الاضداد، كالأبوة والبنوة. فليس بينهما اي اشتراك في الماهية. وإذا اهملت النسبة فانهما قد يشتركان كل منهما في ماهية الآخر. فيكون الاب ابناً بقطع النظر عن ابنه. ويكون الابن اباً بقطع النظر عن ابيه. والتضاد بينهما كالسواد والبياض.

مثال نحو الكم الى كيف. الكم المنفصل مقول على الأشياء التي لاتجمع بينهما حدود مشتركة. مثال ذلك عدد مّا من الحجارة حدود النهاية لكل منها ليست بداية لحدود اي واحد من الأحجار الاخرى لقيام الانفصال الواضح بينهما. والكم المتصل فهو مقول على كل مايجمع بين اجزائه او وحداته التقديرية حدود مشتركة. مثال ذلك صخرة كبيرة تزن عشرين طناً فان حدوداً مشتركة تؤلف وتجمع بين اطنانها العشرين، يعني انّ السطح الذي يفرض انه نهاية لحدود الطّن الواحد منها، هو عينة بداية لحدود الطن الذي يليه فكمومها، من أجل ذلك، كموماً متصلة.

نفي النفي. هو الذي يعبر عنه أيضاً بالتركيب. وهو ثالث النقلات في الحركة الديالكتيكية اصحاب هذا الرأي. وماهو مثال (نفي النفي) فان المثال المفضل عند انجلز وعند مؤلفي (المادية) الدياليكيتكية، ومعظم دعاة المادية الماركسية، هو مثال حبة الحنطة او حبة الشعير. يقول انجلز: إذا ماصادفت مثل هذه الحبة من الحنطة شروطاً هي طبيعية بالنسبة اليها. إذا ما انسقطت في تربة مناسبة فانها تجتاز إذن، تحت تأثير الحرارة والرطوبة تحولاً نوعياً فتنتشيءُ. وعندئذ فان الحبة بحد ذاتها تكف عن الوجود، انها تنكر وفي مكانها تظهر النبتة التي نشأت عنها، وهي انكار الحبة. ولكن ماهي العملية الحياتية الطبيعية لهذه النبتة؟ انها تنمو. وتزدهر، وتلقح، وأخيراً تنتج من جديد حبوب الحنطة. ولاتكاد هذه الحبوب تنضج حتى تموت الساق، فهي تنكر بدورها. وإننا لنحصل من جديد، بنتيجة هذا الانكار للإنكار على حبة الحنطة الأصلية من جديد. لكن لانحصل عليها وحدها بل مضاعفة عشراً او عشرين او ثلاثين مرة).

هكذا يفصل انجلز القول في تصوير إنكار الإنكار من هذا المثال الرائع.

ويقول البوطي في ردّ انجلز على مثاله، مثال الحبة في نفي النفي بقوله: إذاً لقد اضطر ان يترك الشروط الطبيعية التي اخذها علينا في مثال الشعير، والتجأ الى فن (البستنة)) لتنجده بالتركيب الأغنى في مسئلة نفي النفي[77].

(77) البوطي، محمد سعيد رمضان. نقض اوهام المادية الجدلية. دار الفكر، دمشق 1979. ص 75- 91.

وقد ردّ البوطي رحمه الله، بان المادية الجدلية انتقدت من قبل علماء الروس أنفسهم. فيقول البوطي وتقتضي الحكمة الإلهية العظيمة ان نزداد هذه الحقيقة تأكيداً ووضوحاً على لسان العالم الروسي بالذات: ففي العام 1959 تناقلت وكالات الأنباء وفي مقدمتها وكالة الأنباء السوفيتية (تاس) ما يلي: أعلن الكسندر اوبارين، رئيس معهد الكيمياء الحيوية في روسيا بعد ان ظل يبحث 37 عاماً في أهل الحياة الأولى عن طريق تفاعل كيميائي ان الحياة لايمكن ان تبدأ من العدم او ان تتوالد من التفاعل الكيميائي والتوالد الذاتي وان العالم لايمكن ان يخوض فيما وراء حدود المادة. ويقول البوطي رحمه الله إذاا كان الأمر كذلك فأي معنى يبقى بعد هذا المقال للفلسفة المادية التي تخيّلها ماركس وأتباعه.

وذات يوم من الايام بدافع انفعالي معين وها انت ترى اننا لسنا نحن الذين نزيح عنها لثامها الفلسفي الوهمي الذي يختبيء خلفه قدر كبير من الجهل والوهم. ولكن الذي يفعل ذلك انما هو أهل الدار نفسها. فقد شهد شاهد من أهلها، وكفى الله المؤمنين القتال[78].

ويقول البوطي وفي رأي ائمة المادية الجدلية أن حركة الأسباب والمسببات، لاتتم إلاّ ضمن سلطان الطبيعة. يعني فلا وجود لما يسمى بالعلة الغائية بين الاسباب والمسببات والعلاقة بين السبب والمسبب علاقة حتمية طبيعية حتمية.

وما الحق بالنسبة لهذا الكلام؟

اما ان لكل شيء يظهر في ساحة الوجود، سبباً دفع به الشيء الى الوجود أو التطور، فهو حق لاريب فيه، وإن لم يكن كذلك استلزم الأمر وقوع الرجحان والتّرجيح بدون مرجّح وهو باطل في قانون العقل والمنطق، والذي يعترف به المنطق والعلم، هو الاعتراف الجازم بحتمية العلاقة التي نراها في الظاهر، بين ما نقول ونسميّه سبباً ومسبباً. وبعبارة صريحة واروع: اننا ننكر القول بحتمية هذا، ويقول كرد لكلامنا مازلنا نرى انّ النّار تحرق الأجسام القابلة للاحتراق، وأن الماء يتحول ويصير الى بخار والاجسام تسقط عمودياً الى الأرض تحت تأثير الجاذبية، وتنطلق افقياً تحت تأثير القوة النابذة.... الخ.

(78) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية. ص 99.

ولقد تبين لنا من طول النظر والدّقة والملاحظة انّ العلاقة الموجودة بين طرفي كل شيئين من هذه الأشياء علاقة مستمرّة ثابتة، ولماذا لا تكون هذه الملاحظة استنباطا لأسباب ونتائج حتمية قائمة في هذا الكون؟ ولماذا لايكون هذا الاستنباط اكتشافاً لقوانين الكون التي يحكم نفسه بها، فتكون قوانين حتمية ثابتة لاتقبل الخلف؟[79] وأرى أن التغير الذي نراها في هذا الكون العجيب، كالطلوع والغروب للنجوم، والحرارة والبرودة للفصول، واختلاف الليل والنّهار، وخلق الموت والحياة، أليس ذلك أدلة على قانون الأسباب والمسببات، والعلة والمعلولات ، هل يتصور للعاقل أن يقول للصدفة والمادة آلهتان للأرض والسّماوات، ولكن لا يعترفون بهذه العلاقة الموجودة بين الأشياء وعلاقة مستمرة حتمية لا تقبل الإنهيار والخلق، وحاصل ما حصل من فكرتهمن بعدم إعترافهم بقانون الأسباب والمسببات، وسخريتهم بها، لا يدل على شيء إلاّ على جهلهم المركب وهم لا يعلمون أنّهم لا يعلمون، ولا يعترفون أنهم لا يعترفون بهذا الحقيقة، المعروفة بالضرورة.

ومن حجة انجلز ولينين عندما سخروا من القائلين بظاهرة الحكمة والعلة الغائبة في الكون، ان حجة كل منهما في ابطال جميع المظاهر التي تنطلق بالحكمة والتدبير في كل المكونات، قوله: سخرية بالحكمة والعلة الغائبة.

إذن فالقطط خلقت من أجل ان تبتلع الفئران والفئران خلقت من أجل تبتلعها القطط، والكلّ شاهد على حكمة الله. وهذه المناقشة الساخرة شبيه لقول من قال: إذن فالنبات والاعشاب والكلأ خلقت لتسفيها الرياح، والرياح أيضاً خُلقت لينتشر بذورها في مناطق جديدة من الأرض، ومادام الرجل جاهداً للفائدة التي يحققها النبات، وللفائدة من تسلط القطط على الفئران، وباقي الحشرات والحيوانات تسلط بعضها على بعض لهدف وغاية يدركها علماء هذا الشأن، ولا يدركها الجهلاء. والجهلاء لهم ان ينكروا الشمس الساطعة والقمر المنير والاّ يجيبوا على شيء من الامثلة التي يزدحم بتعدادها الكون الواسع والتي تنطق بأجلى براهين الحكمة في الخلق، وأن يجعل من الاناء غطاءً للسماء، ثم يمضي وقد انتهت المشكلة، وقضى على خرافة ظاهرة الحكمة والتدبير في الكون!

(79)البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص 181- 182.

ويرد البوطي رحمه الله لانجلز ولينين وانصارهما بقوله: ان فائدة اليقين بوجود ظاهرة الحكمة والتدبير فيه بعد، منطو على الحكمة ذاتها. إن لم يتبيّنه العقل الإنساني اليوم، فسيتبيّنه غداً. ولئن لم يتبيّنه البتة فان ذلك لايعود بالنقض على وجود حكمة ثابتة واضحة للعقول والأذهان كلّـها!...

من المعلوم الواضح ان ظهور الحكمة والتدبير هنا دليل على جهل الإنسان بنظير هذه الحكمة هناك وليس جهله بالحكمة الخفية، هنا دليلاً ينقض ماتم وجوده هناك.

وحاصل مافهمنا مما مضى ان انجلز مهما أراد أن يجعل من جهله بالحكمة من خلق القطط والفئران وتسلط البعض على البعض دليلاً على بطلان ظاهرة الحكمة والعلة الغائبة في الكون، فان فهمه وجهله هذا لن يكون دليلاً على أكثر من جهله، ولن يعود بشيء من النقض على الحكمة المتجلية الساطعة في مملكة النحل أو مجمعة النمل أو عالم الطيور والحشرات مثلاً. تلك الحكمة التي يسميها الفيلسوف (غوستاف لوبون) في كتابه: الأفكار والعقائد: (المنطق البيولوجي) [80].

أرى أنّ الصراع القائم بين المسلمين والملحدين لم يزل يبقى بينهما الى أمدٍ بعيد ثم ينقشع كالصّحاب في الرّبيع لأنّ الإيمان يتكون من التسليم الى الحقيقة ولكن الإلحاد يتكون من التهريب، يتهرّب من الحق كما يتهرب الحمار الوحشية من الأسد، ويتبين لنا انّ خرافة الإلحاد يبنى على العناد وإنكار الحق وتأليه المادة والصدفة، ولهذا لا يعترفون بقانون الأسباب والمسببات، والعلة والمعلولات، ويمكن أن الحكمة الإلهية من عدم اعترافهم بخالقية الخالق والهيته من الابتلاء لبني البشر حتى يتفكر بعقله السّليم ويتقدم بنفسه وتصوّره ويتعرّف على خلق المخلوقات ثم من طريق تعرّف المخلوقات، يُعرف الخالق جله جلاله ثم بعد الابتلاء والمشقة والمحاولة يأخذ الثمرة، كما قال تعالىوَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [81].

وحاصل ما نرى انّ الإلحاد لا يحاول معرفة سُبُل الله جله جلاله ويتفكر فيه، عناداً وغروراً.

ويردُّ البوطي رحمه الله، على المادة الجدلية بعبارة أخرى ردّاً نقاشياً ومنطقياً، فيقول: انّ من المسلمات التي يعترف بها العقل، اياً كان الرأس الذي هو فيه: فمعلوم إن النقيضين دائماً لايجتمعان

(80) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص 190- 191.

(81) سورة العنكبوت: 69/30

في وقت واحد ومكان واحد، ولا يتولد أحدهما من الآخر. مثلاً، فالسواد واللاسواد نقيضان لايمكن التقائهما في زمن معيّن واحد، بحيث يصدّق في لحظة من اللحظات أن ينّصف ذلك المكان المعين بكلّ من السوّاد المظلم والبياض المشرق معاً ولذلك لايمكن أن ينشأ السواد المظلم من جوهر البياض المشرق، إذ هو يستلزم في الحقيقة تولد الشيء من نقيضه، والتقائهما معاً ولو لحظة واحدة، وهو ظاهرة الإستحالة. وحاصل الكلام يبدو لك تهافت قولهم: المادة مصدر الوجود كلّه.

ويرد البوطي أوهامهم بقوله: ان هذه الفلسفة محجوجة بواقع التجربة الملموسة، فإذا كانت الحياة ليست إلا ثمرة من ثمار المادة الجامدة، لماذا لايعلمون سرّ الحياة ولماذا لايوجدون الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي ولماذا لايقفون على العناصر المادية التي تكونت بتألفها الحياة؟

لقد بلغت آفاق العلم حوت أسرار دقائق المادة وذرّاتها ثم كيف يتقلص سلطانه كلّ التّقلص ويفقد فقداناً مطلقاً فيما يتعلق بالحياة التي هي ثمرة وفرع، ومادامت الفلسلفة المادية لاتحدثنا عن سبب ذلك فهي فلسفة باطلة لايوجد اي دليل على صحتها[82].

والحاصل انّ العقل السليم يلزم ان يعمل عمله الطبيعي في اكتشاف الحقائق والمقدمات والنتائج، وإن عجز العقل عن تصوّره وعدل عن وظيفته، فانه مصداق لسنة الله الجارية في عباده ينير الطريق أمام العقل الذي لم يستكبر صاحبه عن التأمل في معرفة الحق منذ أوّل الطّريق، ولم يفضل اتباع بشهواته على اتباع نداء عقله منذ اولى مراحل الفكر.. ويسدّ الطريق امام العقل الـّذي استكبر منذ الخطوة الأولى، حتى إذا وقفته امام أجلى حقيقة فيها وهي وجود الله عز وجل، وجدته فيها كمجنون يتخبطه الشيطان من المس[83].

و يفهم واضح هذا المعنى للعبارة الماضية وفي قوله تعالى : وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰيَاتِ رَبِّهٖ فَاَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ اِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي اٰذَانِهِمْ وَقْراً وَاِنْ تَدْعُهُمْ اِلَى الْهُدٰى فَلَنْ يَهْتَدُوا اِذاً اَبَداً [84]. علمنا مما مضى من العبارات الخلابة والآية الكريمة يحتاج العقل في فهم اشياء المادة الى مؤيدات التجربة الحسيّة، هذا محل اتفاق عند الباحثين والعلماء. اما القضايا الغيبية التي لاتخضع لأي تجربة فلاشكّ انها تحتاج لمعرفتها الى سند اخر مع العقل وهو الخبر

(82) البوطي، كبرى اليقينات الكونية. ص 96- 101.

(83) المصدر نفسه، ص 106- 107.

(84) سورة الكهف: 18/ 57.

الصادق وعرفنا بتفكير عقلي مع الخبر الصادق انّ لهذا الكون موجداً وصانعاً هو الله جلّ جلاله وليست المادة. واهتدينا بقرار من العقل الى الصفات الأساسية التي يلتزم ان يتميّز بها هذا الاله الخالق الرازق المدبر عن مخلوقاته المادية[85].

ولماذا خوف الماديين من كلمة (الله) جلّ جلاله والقول بعدم وجوده مع العلم انّ في الإنسان حاجة بيولوجية يضطره الى الإيمان بوجود الله جل جلاله.

ولماذا هذا العناد على أن المادة هي علة الوجود ومصدر المخلوقات وهي الآله الوحيدة لهذا الكون المنظم العجيب المحيط بنا.

ومن أين علموا الماديون انّ نسبة الخلق الى المادة الصلبة الميتة أسهل من نسبتها الى إله واحد حيّ قادر على الخلق والإحياء والاماتة والتنظيم أم ماذا؟

ولكن كل البحوث التي كتبها العلماء مبَطـّلين بها آراء الماديين لم تؤثر فيهم شيئاً، بل صاروا مصرّين ومعاندين على ترويج الأكاذيب والأباطيل. بقولهم (العلم والإيمان نقيضان لايجتمعان ولايتفقان) وأيضاً يقولون (العلم يدعوا للإلحاد) او (العلم أثبت ازلية المادة) او (العلم ينفي وجود قوى غيبية) وفي اعتقادهم أن العناد على الخطأ ومخالفة العلم باسم العلم سينفعهم شيئاً. وعلمنا انّ العلم يشهد بكل تواضع وخضوع (أن لا اله إلا الله) [86]، ولكن الماديّين آثروا الإلحاد مكان التوحيد مع علمهم بخالقية الله في فطرتهم كما هو مشهور في وقعة ماركس على الأرض في إنزلاق قدمه وقال: يا الله تنبهه فطرته وقال له أحد بناته ماذا قلت يا أبي، هل الله موجود قال ماركس لبنته أسكتي، بنتي حتى لا يندموا النّاس منّي ومن فكرتي، وهذه المسئلة أحد مثال تنبيه الفطرة للذين ينكرون وجود الخالق. وينكرون لِلأسباب والمسببات، والعلّة والمعلولات، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

(85) البوطي، مدخل الى فهم الجذور. ص 64- 65.

(86) البغدادي، فرحان عبد علي. علماء الطبيعة والايمان بالله. الميناء- بغداد، ط-3/ 1978م، ص 7- 8.

2. 1. 2. ردّ البوطي على المادية التأريخية:

يقول البوطي رحمه الله، في تعريف المادية التأريخية

أولاً: بقوله ليست المادية التأريخية في واقعها الفكري، أكثر من محاولة لتطبيق دعوى الجدلية المادية وتصور سير المكونات كلها بموجبها، على قصة المجتمع الإنساني وتطوراته فوق هذا الأرض.

ألا وهي الغاية التي أقيمت الفلسفة المادية (الجدلية المادية) سبيلاً فلسفياً اليها، والقصد الأخير من ذلك التفسير الذي فسروا به حركة المادة وتطورها، ان يصبغوا بذلك التفسير سائر المجتمعات الإنسانية من فجر ظهورها الى ما لا نهاية له بحيث يتاح لهم أن يفرضوا نظريتهم الاجتماعية والإقتصاية التي أفاض في بيانها ماركس في كتابه (رأس المال) على سير تلك المجتمعات، ويوهموا الناس انّ خضوعها لتلك النظرية أمر حتمي لابد منه بناءً على دنيا المادة والطبيعة طبقاً للنظرية الماركسية ولا سيما في شؤون المال والإقتصاد وكيف تطبق المادية الجدلية على سير التأريخ الإنساني من نظرة الماركسيين؟

يقولون أن التأريخ بكل ما يتضمنه من علوم وآداب وأفكار واقتصاد ودين وفنون، ليس إلا من نتاج الحياة والفكر، وقد يثبت من وجهة نظرهم. أن كلاً منهما أكثر من نتاج المادة، في اعتقادهم التطفلية الواهمة.

وإذاً يلزم أن نخضع حركة التأريخ الإنساني للقانون ذاته الذي خضعت له حركة المادة في أطوارها وتقلباتها، الا وهو قانون صراع الأضداد في حقيقة الشيء ذاته، بدأ من الأطروحة البسيطة الى الطباق، الى التركيب. وهكذا كل الاشياء، فما هي الاّ اطروحة في قصّة حركة المجتمع الإنساني ونشأته؟

انّ الاطروحة الأولى في تاريخه ليست شيئاً أكثر من قوى الإنتاج ووسائله، ومعلوم ان وسائل الإنتاج بدأت في اطوارها التأريخية الأولى بأدوات بسيطة، كالفأس والحجارة ونحوها. وبمضي الزمن تزداد وسائل الإنتاج تعقيداً وتقدماً مع بقاء العلاقات الإنتاجية متفاوتة بين الناس كما هي: يعني قائمة على الملكية الجماعية تحت سلطان العشيرة والقبيلة وبذلك تظهر بذور الصراع.

والتناقض بين وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج في احساء هذه الاطروحة حيث لايلبث ان ينفجر اخيراً هذا الصراع بظهور النفي الأول.

وما الطباق بين نفي النفي والنفي؟

وما المقصود بالنفي الاول هنا هو ظهور الأقطاع، في ظل الملكية الفردية التي يفيض بدافع الصراع المذكور على اشكال الملكية الجماعية القديمة[87]. أرى أن كل ما وقع في تأريخ بدأ الخلق للإنسان، يتكون حياته من الصّراع العقدي والطّبقي والمادي كما نرى في إمعان النظر للتأريخ بصورة مطلقة، وكما نرى في زماننا بصورة خاصة من الإضطرابات الدولية والحركات الإستبدادية، والقتل والتدمير والإبادة الجماعية، وانتهاك حرمة الإنسان وحقوقه.

ويقول البوطي رحمه الله في الواقع التأريخي

أن تأريخ الإنسان ينقسم الى شطرين الاقصى والأدنى، والقسم الاول منها الأقصى الذي يحدّه ماقبل العصر الذي بدأ فيه تدوين التأريخ.

والقسم الثاني منها فهو الشطر الأدنى الينا والذي يجدّه ما بعد عصر التدوين،والعمود الفقري الذي ينهض به قرار الماركسيين هذا عن التأريخ الإنساني، انما يتمثل في الشطر الاول (الذي هو الاقصى والابعد عن معرفتنا الدقيقة) حيث يمكن ان تتلمس الطبيعة الإنسانية، وسعي الإنسان في فجاج الحياة ومظاهر علاقاته، عندما كانت أكثر صفاءً. وادلّ على دوافعه التي تنبثق من فطرته الأصلية[88].

ويقول البوطي رحمه الله: المقصود بالمادية التأريخية هي ان تركيب المجتمع الإنساني بما فيه من القيم المختلفة والأفكار واللغة والمعارف، كل ذلك ناشيء عن الوضع الإقتصادي الذي نشأ هو بذوره عن سبب الاسباب كلها، وهو (وسيلة الإنتاج)) وعلى هذا فان (الحقيقة المطلقة) لامكان لها في الوجود كله. وانما يمتد في مكانها وعلى اتساع الوجود كله قانون (النسبة المتطورة) في كل شيء، إذ المعرفة ذاتها وليد ظروفها الإقتصادية، فمن اين تأتي الحقيقة المطلقة؟

(87) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، ص 193- 194.

(88) البوطي، محمد سعيد رمضان. نقض اوهام المادية الجدلية. دار الفكر. دمشق 1979م، ص 224- 225.

وفي زعم الماديين التأريخيين أن تركيب المجتمع الإنساني يتطور تحت سلطان الوضع الإقتصادي ووسيلة الإنتاج تطوراً ديالكتيكياً، أي بعوامل من داخله يحمل بذور نقيضة، وليس بواسطة عوامل من خارجه كما هو شأن العلة مع المعلول.

وقام البوطي بالردّ على أفكار المادية التأريخية بقوله: أن وسيلة الإنتاج التي هي السبب الأصلي لكل تطور وظاهرة في هذا الكون قد نشأت في تأريخ الإنسان والحيوان معاً فقد ظهرت في الإنسان باديء ذي بدأ بمظهر اليد والحجارة... وفي الحيوان بمظهر المخلب والأنياب. ولا شك انها كانت في الحيوان اقوى منها في الإنسان، فلو كانت هذه الفلسفة صحيحة لنشأ عنها في المجتمع الحيواني مثل الذي نشأ عنها في المجتمع الإنساني من معارف لغة وعقل ودين ونظم اقتصادية. والأمر كله هو واضح ليس كذلك.

إن الفارق الوحيد بين المجتمع الإنساني ودنيا الحيوانات الاخرى، هو فارق العقل والتفكير. وقد ظل هذا الفارق قائماً مع سائر التطورات المختلفة التي لحقت العالم. فإذا كان هذا الفارق نفسه أثراً من آثار القاسم المشترك بين هاتين الخليقتين، وهو (وسيلة الإنتاج) فكيف تم الخضوع لحكمة في الإنسان فتدرج به الى المعارف والعقل واللغة والنظم الإجتماعية والإقتصادية، ونشأ التمرد على حكمة في الحيوان فلم يكتب علماً ولا عقلاً ولا نظاماً؟ ومادام الأمر كذلك إن الفلسفة المادية لاتحدثنا عن سبب ذلك فهي فلسفة وهمية باطلة لا يوجد اي دليل صحيح على حقيقتها وصحتها[89].

وأرى أنّ القول بباطلية هذه الفلسفة المادية من تحصيل الحاصل بقطع النّظر عن تعريف هذه الفلسفة من جانب الخلق والخليقة ومن جانب الإقتصاد والملكية ومن كل الجوانب التي لا تعدّ ولا تحصى.

ثم يستطرد البوطي رحمه الله في الردّ على المادية التأريخية فيقول: إن مقتضى هيمنة قانون الديالكتيك، أن يظل تركيب المجتمع الإنساني في تقدم وتناقض، وهذا يعني ان قيام الشيوعية المطلقة من شأنه هو الآخر أن يحمل في داخله بذور القضية، باعتبارها طوراً من الأطوار الإنسانية التي تدور حول الفلك الإقتصادي. ولكنهم يزعمون بأن حركة التطور تقف وقوفاً تاماً عند انبثاق الشيوعية المطلقة، وهذا يناقض دعواهم الأولى مناقضة واضحة وصارخة. ويضيف البوطي رحمه الله قائلاً لو صح فرضاً أن ازدهار الإقتصاد وتضخم رأس المال هو الذي يقدح زناد الثورة وبسبب

(89) البوطي، محمد سعيد رمضان. كبرى اليقينات الكونية. دار الفكر 2011م، ص 100- 101.

انتقال وسائل الإنتاج الى البروليتاريا، لاستلزم ذلك ان تقوم هذه الثورة في أمريكا وسويسرا ودول اوروبا الغربية قبل ظهورها في أي بقعة أخرى من العالم.

ولكنها بدلاً من ان تظهر هناك، ظهرت في الصين وروسيا وفي عهد كان الإقتصاد فيه ضعيفاً ومتخلفاً. لقد انقدح زناد الثورة حيث كان ينبغي ان لاينقدح، ونامت عواملها نوماً مستمراً الى يومنا هذا، حيث كان ينبغي لن يستيقظ أيضاً في معرفة ردّه على المادية التأريخية يقول البوطي رحمه الله:

ان فرضية الديالكتيك تستلزم القول بان العقل وما يتبعه من النشاطات الفكرية ليس إلا ثمرة الصّراع الإنساني من أجل رفع مستواه الإقتصادي، وتطوير وسائل الإنتاج، ومن ثمّ فان الحقائق المطلقة امور نسبية لا وجود لها في ظل المادية التأريخية، وهي ليست أكثر من ظلال لمقتضيات زمنية متطورة.

فإذا فرضنا ان هذا الكلام صحيح، فانه لدليل بديهي على ان الديالكتيك ليس قانوناً حقيقياً يستوعب التأريخ كله ويعطي اطوار الإنسانية كلها، بل هو ليس إلاّ كبقية (الحقائق) المزعومة الأخرى، امر نسبي لا حقيقة ثابتة له.

ان من التناقض الذي لايخفى على عاقل لأن نقول بان أحكام العقل ليست حقائق مطلقة ثابتة. لأن العقول متفاوتة، ثم نعتمد على أحكام العقل ذاته في استنباط ما ندعي انه أعظم حقيقة ثابتة تستوعب التأريخ الإنساني كله.

وخلاصة الكلام في قول البوطي رحمه الله لطرح هذا السؤال: ما هو علة التطور الاجتماعي؟

وجوابه الواضح على لسان كل باحث انه الفكر.

ويلزم السؤال عن السؤال هنا عن المادية التأريخية فما هو عامل انبعاث الفكر؟ وجواب المادة التأريخية على هذا السؤال الثاني بكل بساطة: تقول انه العامل الإقتصادي المتمثل في وسائل الإنتاج، يعني فالشعور بالحاجة الى الأكل والشرب هو الذي حرّك البذور والعناصر الأولى للفكر والعقل، وهو الذي فجّر أيضاً طاقة اللسان وقدرة التعبير.

ولا بد لكل عاقل فهم أن يسأل عن المادة التأريخية سؤال نقاش ومجادلة عن نظريته الواهمة التافهة بهذه العبارة القويّة الاتية: فلماذا تخلفت البهائم والسباع المختلفة عن زميلها (الإنسان) في

هذه المرحلة التي تكافأت فيها الفرص، واظلها نظام قانون واحد؟ ولماذا استطاعت سياط الدياليكتيك ان تدفع بالإنسان الى حيث وصل الآن، دون ان تستطيع هذه السياط نفسها تحريك سائر الحيوانات الأخرى شبراً واحداً الى الأمام؟ فلا هي تمتعت بفكر ولا اغتنت بلغة ولا ازدهر فيها اقتصاداً..

والجواب الحتمي عن هذه المناقشة اللتي لامفرّ منها بأي حال من الأحوال، هو ان الفكر حقيقة مستقلة تنزلت الى بنى آدم من لدن خالق الإنسان سبحانه وتعالى.

وعبثت هذا الفكر لا طائل فيه ان تبحث للفكر عن جذور او عوامل في دنيا المادة او الإقتصاد او وسيلة الإنتاج[90].

أرى أن السّؤال عن المادة التأريخية لا جواب لها أنّ جوابها يرجع الى خالق المادة ومدبّرها وما سوّاها وهو سبحانه وتعالى بقوله تعالى: اَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأرض كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ اَفَلَا يُؤْمِنُونَ [91].

2. 2. ردّ البوطي على نظرية التطور والنظرية اللاماركية

2. 2. 1. رد البوطي لنظرية التطور وكيفية بدايته

كيف بدأت الحياة على سطح الكرة الأرضية؟ سؤال شغل الإنسان منذ عدة قرون، ولم يعط له جواب حاسم حتى الآن، ولاينكر أحد ان العلم الذي خطا خطوات جبارة في عصرنا الحالي حل معضلات ومسائل عديدة كانت تعتبر في الماضي الغازاً لا يعرف كنهها، ولكن من الصعب القول ان موقف العلم امام معضلة الحياة وسرّها قد تقدم كثيراً عن موقفه قبل قرون. وقبل مأة عام عندما اكتشفت الخلية التي هي وحدة البناء الحياتية، وحل الكثير من أسرارها، ظن الكثيرون ان سرّ الحياة أصبح في متناول اليد، ومع اننا نستطيع اليوم رأية كل جزء من اجزاء الخليّة عندما نضعها تحت المجهر الألكتروني ونكبرها مليون مرة، إلا انه تأكد لدينا الآن إن هذا المجهر لايستطيع ان يساعد في اكتشاف ماهية الحياة وسرّها وحتى ما على الأنامل من خطوطها أمام هذا الوضع، فقد خيّل للكثيرين اننا عندما عجزنا عن الوصول الى هدفنا في اكتشاف سرّ الحياة بواسطة العلم والتكنلوجيا

(90) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 101- 103.

(91) سورة الأنبياء: 30/31

فاننا نستطيع الوصول الى هذا الهدف بقوة خيالنا، فمثلاً ادّعى العالم الفيزيائي الكيميائي السويسري الأصل سوانتا آغوست ابرنيوس 1859- 1927)الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء، سنة 1903: ان الكائنات الحية المجهرية توجد في فضاء الكون منذ الأزل، وان هذه الكائنات المجهرية عندما تستقر على احد الكواكب فانها تتحول الى مختلف انواع الكائنات بفعل عوامل التطور) ولكن عندما اكتشف العلم ان الإشعاع الكوني الذي يملأ الفضاء لايدع مجالاً ولا فرصة للحياة في الفضاء، ماتت هذه النظرية في مهدها. أما الآن فان العلماء يتفقون ان الكون باجمعه- دع عنك هذه الكائنات الحية المجهرية والخيالية- ليس ازلياً بل له بداية معلومةونهاية مجهولة لا يعلمها إلاّ خالقها وهو الله سبحانه وتعالى.

وفي قول بعض العلماء الآخرين ان الكائنات الحية تطورت من الجماد، ويقولون ان المواد غير العضوية تطورت الى مواد عضوية في اول الأمر ثم تطورت الى اشكال الحياة العضوية المعروفة. وإنّنا لو رجعنا الى الوراء آماداً ووصلنا الى مرحلة ظهور الحياة، لانكشفت لنا كيفية جريان هذا التّحول والتّطوّر. وكما يجوز تحول جسم عضوي حتى- بتحلله وتفككه- الى اجزاء غير عضوية، جاز لنا تصور تجمع الأجزاء غير العضوية لتكوين جسم عضوي ونقول على سبيل المثال، هدمنا جامع السليمانية وحوّلناه الى كومة من الاحجار واللّبن نعم صحيح انّ هذا البناء الفخم متكون اصلاً من هذه الاحجار، ولكن لايمكن النظر الى هذا الجامع باعتباره متكوناً فقط من الاحجار فلِكي يشيّد هذا الجامع من هذه الاحجار هناك حاجة الى معماري عبقري مثل (سينان) ولايوجد (مجنون) واحد يستطيع التّخيل انّ جامع السليمانية وجد، او يتوقع ان يوجد، دون سينان) ومع ذلك نرى بعض رجال العلم قديماً وحديثاً يبذلون قصارى جهدهم للعثور على دليل لاثبات أنّ الكائنات الحية قد تكوّنت من دون (معماري) او (صانع) وهذا محال[92].

وأرى أنّ عقلية الملاحدة أخف من عقلية الصّبان والمجانين، لايتفكرون بعقليتهم الكاملة، بل حادوا عن الحقيقة عناداً رغم علمهم بحقيقة الأشياء الموجودة حولهم، وعدم العمل بتحكيم موازين العقل والمنطق في تصوراتهم الخاطئة، وتصحيحهم تصحيحاً جزرية، وفي هذا أضلّهم الله على

(92) شمس الدين آق باوت. داروين ونظرية التطور- ترجمة من التركية، اورخان محمد علي. ط-1. الزهراء الحديث- الموصل 1984م، ص 8- 9.

تقصيرهم في تفكيرهم وتصورهم، ومع هذا يسمّون أنفسهم، فلاسفة، وعقلانية، وعلمانية، واللادينية افتخاراً بهذه المصطلحات المشؤمة المحرومة عن كل الخيرات في الدنيا والآخرة.

ويقول البوطي رحمه الله، في ابطال هذه النظرية، وردّه لها في ضمن كلماته القيّمة بقوله: انّ لنظرية التطور شبهات كثيرة تحاول التسلل الى أفكار الجيل الإسلامي المعاصر ولاريب ولكن علينا ان نعلم ان شيئاً من هذه الشبهات لم يتسلل الى الإسلام باسم الحقائق العلمية بعد: وانما تسلل منها ماتسلّـل، امّا عن طريق الأفكار الفلسفية المهزوزة او عن طريق فرضيات وتطورات تطرح بين الحين والآخر في دائرة المسائل والقضايا العلمية. ويلزم للمسلم في هذا الواقع ان يفهم حقيقتين اثنين:

أولاهما: أنّ الخوض في عمق الفلسفة ودراستها، كان ولايزال مصدراً لاضطراب الفكر وقلق النفس، ولايمكن ان ينجو المتفلسف منها إلا إذا هضم أصول الفلسفة وقواعدها المنطقية وانتهى الى اعماق جذورها، فلاجرم انّ فهم جوانب منها او الوقوف عند سطحياتها او التوقف مابين سطحيّاتها واعماقها لايورث إلاّ الضياع او الجنون أو البعد عن الحقيقة.

ثانيهما: انّ كلّ ما قد يلحقه بعضهم بالحقائق العلمية الحاقاً، من النظريات والفرضيات والتطورات المختلفة، لايشكل الوقوف عندها والاستمساك بها إلا حاجزاً يصدّ الإنسان عن مواصلة بحثه عن الحقائق العلمية، ويضيع عليه فروق مابين الوهم والواقع والحق والباطل. وانّ وبال ذلك عائد الى قدسية العلم، قبل ان يكون ضاراً بحقيقة الدّين، الذي هو الإسلام.

وأرى أنه لا تضاد بين العلم والإيمان والإسلام، ولكن الفكر المادي يعتمد في رفض الدين وتضاد الدين والإيمان مع العلم على ان الدين غيبيات، وانّ العلم والعقل العلمي لايجدرُ أن يؤمن بغيبيات، مع ان الفكر المادي بنفسه يعتمد على الغيبيات، والفرضيات، بم يُعرف الفلاسفة ان مبدأ الكون مادة لاشئ غيرها، إن هذا كلام من غيب لأن الفلاسفة لم تكونوا موجودين في لحظة خلق الكون وبدايته حتى يعلمون ويقولون للمادة انها خالق الكون رجماً بالغيب.

انّ في حياتنا اليوم كثيراً من التّصورات والفرضيّات التي يسمّونها اليوم نظريات، والتي لا تشكل في واقعها الا سيتاراً يسدل على الحقائق الثابتة الكامنة وراءها. ونظرية التّطور، بل نظريات التطور عن نشأة الإنسان ليست إلا واحدة منها.

إذن، فلكي ندرك الموقف الذي يجب ان نتخذه يجب ان نبحث عن موقف الإسلام من هذه النظرية، انه يحفز عقولنا الى النظر في أدّلتها والتأمل في جذورها وما قد تستلزمه وتقتضيه، في نطاق قانون الالتزام الذي هو أحد القواعد العلمية الثابتة في منهج البحث[93].

والحاصل لن نريح أنفسنا اعتماداً على هذه المسلّمات الثابتة في ديننا الحق، لا لأننا في شك من قيمة هذه المسلّمات، نعوذ بالله، ولكن لأنّ الإسلام عوّدنا في مصدره العظيم الأول الذي هو القرآن على تحكيم العقل وأصول النظر والعلم في كل ما قد يوضع امامنا او يتسلل الى اخيلتنا من التصورات والإحتمالات، وان لانقبل فكرة بأهوائنا او نرفضها باهوائنا إلا اعتماداً على مقاييس العلم ومنهج البحث والنّظر، أولم يخاطبنا ربّنا جل جلاله : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً [94]. والتّعمق والتّفكر في هذه الآية الكريمة شملت كلّ فكرة و تصور، حتى إنّ الدّين نفسه كذلك فهو لا يرضى منا ان نفهم حتى ايماننا بذاته وما قد اخبر به إلا على أساس من الطمأنينة العلمية الراسخة[95].

أرى أن مذهب التطور الداروينى لا يؤمن بكثير من نظريات التطور بنفسه ولا يجاوب في كثير من الأسئلة التي تواجهه من قبل طلابه وأنصاره، وله قول مشهور على ألسنة النّاس، بأنه يقول أنه يستريح الى الإيمان بوجود الإله في هذا الكون ولا أحب ان يقول لي احد ان (داروين) ملحدٌ اذا كان معنى الملحد إنكار وجود الله وأرى ان داروين، مع تقدم سنه وكبره يرجع في تفكيره من بعض نظرياته، كما يقول في قوله، أحرى بي ان إسمي لا ادرياً، لأن هذا الإسم أصوب في وصف تفكيري، وتبين له بأن هذا الكون مع ما فيه من الأنظمة الدقيقة الخلابة أنّه من ولد المصادفة، من هذه المقولات يتبين انه في آخر عمره رجع عن كثير من نظرياته القلقة، والحاصل ان داروين لم يكن منكراً لوجود الله، حسب ما فهمت في قراءة بعض الكتب لداروين باللغة الكردية[96].

---

(93) البوطي، محمد سعيد رمضان. العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر. مؤسسة الوحدة، دمشق 1983م، ص 227-229.

(94) سورة الإسراء، الآية: 17/ 36.

(95) البوطي، المذاهب التوحدية والفلسفات المعاصرة. ص 297- 298.

(96) داروين له تەرازووى ژيريدا (داروين فى ميزان العقل)، محمد ملا صالح شارەزووری، ط2. 2015.

ويقول البوطي رحمه الله في ردّ التطوريين، يعني الداروينية المتفلشة عن نشأة الإنسان انه مخلوق (من حيث الجنس) من تراب، ومتكاثر (من حيث المصدر من الإنسان الأول، آدم عليه الصّلاة والسّلام لا من القرد والأوهام. والبرهان على هذه الحقيقة محصور في اعتماد الخبر الصّادق المتواتر. إذ هي ليست من المسائل المتعلقة بالحسيات حتى تخضع لدليل التجربة والمشاهدة. وانما هي منبثقة عن خبر يتعلق بتأريخ قديم. فلا مطمع للتحقق منها بأكثر من التحقيق في الخبر نفسه وهذه المعلومة لا يعتمد عليه لأنها تعريف الشئ بنفسه.

وفي معلومة للعلماء الجيولوجية يقولون في نشأة الإنسان انه من التراب بالمقابلة بين حفنة تراب وقطعة لحم من جسد الإنسان فيتبين انّ ثمانية عشر عنصراً موجود في لحم جسد الإنسان.

وحاصل ماعلمنا من نشأة الإنسان أنه مخلوق (من حيثُ جنسه) من عنصر التراب، فقد دلّـت على ذلك آيات صريحة وكثيرة في كتاب الله عزّ وجل. فمنها قوله عز وجل: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ [97]. و قوله عز وجل: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [98]. و قوله تعالى: خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ [99]. والصلصال طين يبس فهو يتصلصل، اي تصوّت كأنه الفخار، أي الطين المشويّ. والحمأ طين اسود متغيّر. والمسنون اي المصوّر صورة انسان. فالصّلصال تفسير لجنس التراب، والحمأ المسنون تفسير لجنس الصلصال كما تقول: اخذت هذا من رجل من العرب من الشام من قبل أكلت من ثمره من تفاحه.

ويقول البوطي رحمه الله في جواب الملاحدة الذين يقولون بوجود التناقض في القرآن عن نشأة الأولى للإنسان، بقوله: لمن العجيب المضحك انّ بعض الملاحدة أرادوا ان يزعموا انّ في القرآن تناقضاً، واستمروا على البحث عن ذلك.. ثم اهتدوا الى هذا التناقض في هذا الذي يقوله عن أصل الإنسان: مرة يقول انه مخلوق من تراب، ومرة من صلصال، ومرة من حمأ مسنون وهو شبه

(97) سورة طه : 20/ 55.

(98) سورة الحجر: 15/ 26.

(99) سورة الرحمن: 55/ 14.

التناقض الذي يقع من يقول: انّ هذا البيت مبني من تراب من طين من آجر. وإذا فقد الإنسان حريته حتى اصبحت ملك سادته، فلاعجب ان يفقد عقله أيضاً برغبة غيره[100].

وأرى أنّ الإنسان لم يستعمل العقل إذا في تفكيره وتصوّره لمعرفة حقيقة الأشياء، يضلُّ طريقه، ويرى الحق باطلاً، والباطل حقاً كما نرى في خرافة الإلحاد في أقوالهم المزخرفة، وأفكارهم المسفسطة، يحلّلون الأشياء بأهوائهم وبرغبة سادتهم من المنحرفين، ويتكلمون بلسانهم الشريرة إنكار الحق بدون علم ومعرفة ويبدؤن بالشك أولَ تحليلاتهم، إتباعاً لأساتذتهم الجهلة، وتحذيراً من اليقين لئلا يقعوا فيه ويعترفوا به، يتهربون بعملهم هذا خوف الحقيقة التي كالشمس في رابعة النّهار، مثلهم كمثل الخفاش يبغض الشمس لشعاعه، ولا يعترف بضعف عينيه.

ومما أشار البوطي رحمه الله، في المستند بخبر الصادق المتواتر فيما لا مجال للشكّ او الظنّ فيه ان التطور ليس له أي تأثير على نشأة الإنسان لأن هذه الآية مشعرة في فحواه بانّ الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في اتم مظهر وأحسن تقويم كما قال تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [101]. ومثل ذلك قوله تعالى: يَا اَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ.الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّيكَ فَعَدَلَكَ [102] أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

ومن مؤكدات هذه الحقيقة التي قدّرها القرآن في عدم تأثير التطوّر في نشأة الإنسان، ما روي في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: خلق الله آدم على صورته. أي انّه منذ خُلق. انّما كانت صورته هي الصّورة التي استمر عليها وعرف بها أي لم ينشأ متنقلاً من شكل الى شكل، فالضمير "في صورته" راجع الى آدم عليه السلام. وفي رأي آخر، يرى ان الضمير راجع الى ذات الله تعالى، والمقصود بالصورة الصّفة. أي خلقه عالما مريداً حكيماً سميعاً بصيراً وهذه الصفات أي العلم، والارادة، والحكمة والسمع، والبصر من صفات الله تعالى وهذا معنى خلق الله آدم على صورته.

---

(100) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية. ص 249- 250.

(101) سورة التين: 95/ 4.

(102) سورة الإنفطار: 82/ 6- 7.

فقد ثبت إذاً أنّ حديث الإسلام عن أصل الإنسان حقيقة علمية قاطعة. أمّا حديث داروين فهو ليس أكثر من نظرية وفرضية باعترافه هو وبإتفاق سائر العلماء الآخرين سواء منهم من ايّده أم خالفه.

وجلّ ما قاله داروين في نظريته عن أصل الأنواع، ليست إلا حلقة في سلسلة نظريات متلاحقة مختلفة، كلّها تفرض أن الحياة تطورت على وجه هذه الأرض تطوراً آلياً، ثم تتفرق عن بعضها في طرائق مختلفة لتفسير هذا التطور و تحليله[103]، وأرى أنه ندم في كبر سنه لكثير من نظرياته حسب ما كتب عليه الباحثون في أبحاثهم العلمية، والفكرية، كالعقّاد وغيره من الباحثين.

2. 2. 2. ردّ البوطي على النظرية اللاماركية

أول هذه النظريات واسبقها اللاماركية. وأول من نادى بها العالم التصنيفي (لامارك). وفي تصور لامارك عن التـّطور، يرى ان الأنواع الحيوانية غير ثابتة على حالها.

ومردّ ذلك هو الظروف الملائمة المناخية المختلفة التي تتقلب على كل منها كالإقليم والغذاء وحالة الطقس وطرز الحياة والطبيعة. ذلك لان اختلاف شيء من هذه العوامل يؤثر في اختلاف العادات: وأختلاف العادات يؤثر بدوره في اختلاف الوظائف والأعمال، واختلافهما لأن يؤثر، مع الزمن، في اختلاف الشكل والأعضاء وتقلباته الحركية والإدارية.

إذن فمحور نظريته هو الظروف والعوامل المناخية المختلفة التي تؤثر في نظره على تطور الأنواع. وليس لها أي علاقة بالأصلح والقول بأنّ البقاء للأصلح ودليل لامارك لنظريته الفقاريات التي تتغذى بدون مضغ تضمر اسنانها وتصبح مع الزمن خفية في اللثتين. والحوت وآكل النمل مثالان أيضاً على ذلك والخلد الذي يعيش في الظلام يتمتع بعينين صغيرتين جداً. كل ذلك دليل في نظره على انّ للعوامل الطبيعية والمناخية أثراً واضحاً في تغير كل المعالم. وهو ليس إلا دليلاً بدوره على السير في الطريق الى اختلاف الانواع، والحقيقة انّ هذا الذي تصوره لامارك، سرعان

(103) البوطي، كبرى اليقينات الكونية. ص 251- 254.

مشاع في الاذهان واستقبله الناس بالقبول والرّضا. وراحو يتصورونه، الى حين من الزّمن، خير مايعين على القول بان الحياة الإنسانية العجيبة المعقدة، إنما تطورت من حال الى حال خلال أجيال متصرّمة كثيرة. بل ان كثيراً من الناس من أولئِك الذين يعانون من فراغ فكري تجاه مسئلة اليقين بوجود خالق للكون كلـّه، وجدوا في تصورات لامارك هذه حقيقة علمية اطمأنوّا اليها وحاولوا ان يتخلّصوا من فراغهم الفكري بها. واستيقنتها قلوبهم أكثر مما تستيقن النظرية الداروينية اليوم عقول كثيرة اخرى.

ولكن ما ان مرّ زمن، ووضعت النظرية تحت مجهر البحث والنقد. ودلائل التجربة والاستقراء، حتى انطفأت شعاعها وانكفأت على نفسها. وتقلّص ماكان لها من سلطان على الأذهان فلنستعرض شيأً من هذا الردّ الذي تكاثر عليها، حتى نعلم كيف ينخدع السّطحيون بالفرضيات المزينة بالترجمة الطويلة لها والأساليب الكلامية التي تبعث على الافتتان بها، فيظنّونها الى حين من الزمن حقيقة ثابتة، ويحسبون أنفسهم خلال تلك الحقيقة عن اي نظرية في احتمال ان تكون الحقيقة شيئاً آخر خفياً من ورائها!

ويقول البوطي رحمه الله في نقد الاول لِلامارك، ان لامارك طرح تطوره هذا تفسيراً لدعوى ان الحياة تطورت الى الأفضل خلال الدهور ومن امثلته تقرر بان سير التطور يتجه الى فائدة الحيوان وضمان استمراره في عمله الوظيفي، والحفاظ على أكبر قدر من التناسق بينه وبين احوال الطبيعة والمناخ. وليس كذلك في الحقيقة فإن انواعاً من الحيوانات قد انقرضت تحت تأثير و وطأت تلك العوامل المناخية وقد كان من مقتضى افتراضات لامارك ان تطور تلك الحيوانات وفقاً لاختلاف الاحوال الطبيعية حتى تتناسق معها، بحيث تضمن لنفسها استمرار بقائها النوعي على اقل تقدير[104] وأقول إن هذا من المستحيلات ان تتضمن الحيوانات بقاء حياتها ولا البشر وإنما البقاء وعدم البقاء بيد خالق الحيوانات والبشر لا بتأثير المناخ والزمن، إن نظرية (لامارك) في إستمرار البقاء النّوعي قريب من عقلية خفيفة كعقلية مجنون يتكلم عن الأشياء بدون معلومات صحيحة.

ويقول البوطي رحمه الله في الردّ الثاني للامارك: انّ أكثر مالاحظه لامارك، من مظاهر التّطور التي اعتمدها أساساً لبحثه وميزاناً لفرضيته، انّما يجري ضمن سلسلة الافراد، بعامل

(104) البوطي، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر ، ص 232- 233.

الوراثة، اي من قبل ان يلتقي الحيوان مع الظروف او البيئة او الاحوال التي تلجئه الى نوع من التّطور او التشكيل للإنسجام معها.

مثلاً فجلد الطفل يكون، منذ ولادته، اشتد غلظا على أخمص القدمين منه في أيّ جهة اخرى من اجزاء الجسم. ومثال آخر: للجمال ثفناً تقع في سويات رسغ اليدين والمرفق بحيث تطتبق السّطوح التي تتحمل وطأة الوزن عندما يستنيخ البعير. وتكون هذه الثفنات موجودة في ولد الناقة منذ ولادته.

وتتجه الامتدادات العظيمة على عظام الفخذ في جنين الإنسان، كما تتجه في البالغ المكمل أي وفقاً لاتجاه الضغوط التي تطرأ على العظام عند المشي. ولايمكننا في مثل هذه الاحوال ان نعلّل الأمر بتكييف سابق تأثير بالظروف من المناخ والمكان والطبيعة. سيما وقد تبيّن من علم الوراثة ان الهيكل الأساسي للكائن الحي ليس من العوامل الخارجية كالمكان والزّمان والمناخ. وانّما هو أصل ذاتي حسب اقتران الصّبغيّات والتّناسلات لكلّ نوع وحده. و دعوى لامارك انّ الأمر لم يكن على هذا النحو الوراثي في غابر الأزمان المديدة، زعم غيبي بحت يتنافى مع الواقع المستمر المشاهد و دعوى بلا دليل و جهل بلا علم[105].

ويقول البوطي رحمه الله في الردّ الثالث للامارك، انّ هذا الفرضية التي طرحها لامارك، انّما تعالج مسئلة اخرى وهو مدى احتمال ان يكون سائر انواع الحيوانات المختلفة قد تطورت تطوراً نوعياً كاملاً لايجده تبدل اشكال والوان واعضاء، بل تأتي على التكوين الحيواني كلّه من حيث هو، بدءاً من الغريزة والفكر الى الشكل.. والشَّعر والمخالب والاظفار[106].

ويقول البوطي رحمه الله: ان هذه الإنتقادات الثلاثة الكبرى لم تجد اي اجابة عنها، وهكذا طوى بساط هذه النظرية عن الالتفات اليها والإهتمام بها بعد ان خدع بها كثير وضلّ بها جيل. وقامت على انقاضها نظرية اخرى في التطور هي نظرية داروين[107].

(105) البوطي، كبرى اليقينيان الكونية. ص 256- 257.

(106) البوطي، العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر، ص 234.

(107) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص 305.

وجاء داروين بهذه النظرية الجديدة للتّطور في عام 1871م في كتابه المشهور (أصل الانواع والإنتخاب بالنسبة للجنس) أقامها جهد استطاعته على مبدأ اختيار الاصلاح. ولكنّها ما ان سارت بين الناس قليلاً، ونالت الشهرة الطبيعية بحكم غرابة ما قد جاء به، وبحكم تطلع من حوله من الناس الى معرفة أي تفسير لأصل هذا الكائن العجيب حتى منيت هي الاخرى بانتقادات كثيرة جداً، كشف عن كثير من الثغرات العلمية فيها، ذكر طائفة كبيرة منها الدكتور عبد الحليم سويدان في كتابه علم الحياة، ثم قال انّها جزء يسير من انتقادات كثيرة اخرى وجهت الى الداروينية[108].

ويقول البوطي رحمه الله في نظرية داروين الجديدة للتّطور، وحسبنا انّ نعلم بان (داروين) نفسه قد استدرك على نظريته بانتقادات كثيرة وجّه اليه بعضها من الآخرين واستقل هو بتوجه سائرها على نفسه بنفسه، وقد سجّلها في كتابه دون ان يجيب على شيء منها، وانّما اكتفى بالاعتداء بدل الجواب قائلاً (ان مانعلمه من تأريخ الإنسان لايبلغ شيئا إذا ماقرن بمبلغ جهلنا بالتأريخ). ثم انّه كان للانتقادات الكثيرة التي توجهت الى (نظرية داروين) أثر كبير في ان تتهاوى، ولكن طائفة من الباحثين عادوا فأشادوا من انقاضها نظرية اخرى جديدة اطلق عليها فيما بعد اسم الداروينية الجديدة، اعتبرت بمثابة النسخة المصحّحة ل (نظرية داروين). وقد تزعم هؤلاء الباحثين العالم الهولندي: (Hugobeverres) غير ان هذه النسخة المصححة أيضاً مالبثت ان استهدفت لانتقادات كثيرة و وقعت تحت وطأة نقائض لم تجد ايّ مفر منها، إلا ان نرجع الى رحاب القرآن الكريم لننظر كم يشعر الإنسان بطمأنينة النفس والعقل، عندما يعود من رحلته مع تلك النظريات المتصارعة المتخاصمة ليجد نفسه اخيراً امام هذا البيان الإلهي الاخّاذ: مّا اَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَالأرض وَلَا خَلْقَ اَنْفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً [109].

ولكن الإنسان لن يستشعر بما يمتد لهذه الآية من ظلال الطمأنينة، إلا بعد ان يقوم بسياحة فكرية وعلمية الى اجواء سائر تلك الآراء والنظريات، ويرى طبيعتها، ويقف على حصيلة البحث فيها.

(108) البوطي، الاسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية. ص 159.

(109) سورة الكهف: 18/ 51.

لذا نقول مؤكداً اننا لانصدُ انفسنا ولا نصدُ الناس عن متابعة كل مايقوله الباحثون في هذه المسئلة، بل ندعوا الى القراءة والمتابعة ذلك لإن اليقين بأحقية القرار القرآني الصريح، انما يأتي ثمرة الوقوف على مدى الإضطراب الدّي يشيع في النظريات الأخرى[110].

ويردّ البوطي رحمه الله الآراء الدراوينية، فلنعدد على وجه السّرعة هذه الإنتقادات في نقاط:

1. ان الواقع الذي نراه يتنافى مع ما سمّاه داروين بقانون الإصطفاء والبقاء للأصلح، فان الكون لا يزال بعدما قطعه من عمره المديد يعج بالأصلح والصّالح وغير الصالح من جميع أصناف الحيوانات بدأ بالهلاميات الى القردة، فالإنسان ولو كان قانونه صحيحاً لكان من ابسط مقتضيات الواضحة، ان يتجاوز في حياته نقطة البدأ على الأقل مهما فرضنا حركة التطوّر والاصطفاء بطيئة ولكن لاتزال على حالة البدء ولاتزال تتمتع بحياتها وخصائصها المعاشية كما يتمتع بها السابقون مثلا بمثل بدون تغير وانتقال.

2. لا خلاف ان كل نوع من الحيوانات له الموت والنجاة ان كلاً من الموت والنجاة من الموت كثيراً ما يكون عائداً الى المصادفة المجردة لا الى صفات خاصة في الفرد كما هي نظرية داروين. وأمثل لك بمثال حتى يقع صورته في النفس الإنسانية. فالمستنقع العظيم الذي يجف والموجة الهائلة التي تتدفق على الرمل، يتركان بعدهما الوفاً من الحنث، وتنجوا من كارثة طائفة اخرى، ولكن لا الموت اصطفى لنفسه الضعفاء ولا النجاة اختارت لنفسها الأقوياء. بل الأمر كله جاء على سبيل المصادفة ولم نقصد بالمصادفة إله الصدفة للماديين بل الصدفة التي يقع في الزمان والمكان وهي في الحقيقة بمعنى القدر، والإيمان بالقدر من اركان الإيمان يجب على المسلم أن يؤمن به.

3. إن عملية الإصطفاء ليست حركة آليه، سواء اعتبرناها اصطفاء صنعياً او طبيعياً، بل هي وسيلة تستهدف غاية. والسّعي نحو غاية مّـا يعتبر اعقد عمليات الفهم والادراك.

فكيف يمكن استناد ذلك الى (الطبيعة) لا مناص من تفسير عملها وآثارها، مهما تنوّعت التعابير عنهما، بالآلية او العشوائية المجرّدة.

(110) البوطي، الاسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية. ص 159- 163.

وانتخاب الأصلح لا بد ان يعتمد على قانون يميز الأصلح عمن دونه ويعلل ذلك ويوجهه، فعلى اي قانون تستند الطبيعة في انتخابها وما هو التّعليل الذي هضمته الطبيعة لذلك ثم انطلقت متأثرة به؟ وليس ذلك كما قال داروين لا في ميزان العقل ولا في ميزان المنطق الصّحيح.

4. إذا كان مبدأ الاصطفاء الطبيعي هو مبعث التطّور المستمر في الكائنات الحية، وكان هذا التطّور دوماً شطر ماهو الأصلح، فلماذا لانجد القوى العاقلة في كثير من الحيوانات أكثر تطوراً وارتقاءاً من غيرها مادام هذا الارتقاء ذا فائدة لمجموعها؟ ولماذا لم تكتسب القردة العليا من القوى العاقلة بمقدار ما اكتسبه الإنسان مثلاً[111]؟ وأرى أن ما قال داروين بعيد عن الحقيقة وطريف من الفلسفة، وقريب من السفسطة، ولا يلتفت إليها العلم والإدراك الصّحيح، وإنما هو مبني على الوهم والخرافة.

ويقول البوطي رحمه الله بصورة عامة وملخّصة لردّ ونقض هذه المذاهب الحديثة التي قامت متصارعة متناسخة، حول فرضية التّصور بالنسبة للكائن الحيّ عموماً والإنسان خصوصاً، فما الذي يسجله ميزان الرؤية العلمية لهذا الموضوع بعد ذلك كله؟ انّه يسجّل على الفور النقاط التالي:

أولاً: فكرة التّطور من انتخاب الأصلح ونحوه، لم تتجاوز بعد مرحلة الفرضية التي تتجاذ بها الشّواهد والاستدلالات المتناقضة. وكلّ ماقيل او كتب فيها لايعد وان يكون محاولات عقيمة وبحوثاً مجزّأ لاتثير مزيداً من مشكلاتها أكثر مما تحل شيئاً من معضلاتها.

ثانياً: إن عادة هذا الصراع الذي استعرضناه هي عادة حيرة واضطراب، في مجهول وليست طبيعة سير منهجي لفهم امر معلوم الحقيقة محدود النطاق والحجم.

ثالثاً: وبناءً على ما علمنا فانّه لايجوز اقامة ايّ حكم علمي على شيء من هذه البحوث والآراء، ولايجوز ان نعتبرها بحد ذاتها حقيقة علمية تجاورها العقل بالقناعة والقبول.

وان في استمرار سلسلة النقض والنقد التي نلاحقها لأبلغ شاهد على ذلك[112].

(111) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية. ص 260- 262.

(112) البوطي، المصدر نفسه، ص 260- 267.

وأرى أنّ فكرة التطور ليست حقيقة من الحقائق المسلّمة المستدلّلة في ميزان العلم والمنطق والعقل وإنما هي وهم من أوهام التطور بين الذين فشلوا في فكرتهم ونظرتهم، ولم يعتمدوا عليهم، أحد من الباحثين والكاتبين في بحوثهم ومكتوباتهم لأن هذه الفكرة ماتت في عصرنا، مقروء بالسنتنا، ومقبور في أخيلتنا، ولا يستند عليها إلاّ من يضلّ ويشقى.

2. 3. ردّ البوطي على ظاهرة العلمانية:

2. 3. 1. ظاهرة العلمانية في المجتمعات الإسلامية

فالعلمانية ليست مذهباً محدّد المعالم، واضح الأركان، لكنها عنوان لاتجاه هدفه النظر بعين واحدة، هي عين البحث العلمي بالوسائل الإنسانية، وطمس عين العلم الآخر الحقيقي التي تقتبس المعرفة من الخبر الصادق والوحي طمساً كلياً. وفي هذه الحالة تكون العلمانية إلحاداً بصورة اجابية. او اهمالاً للدّين وعدم الإلتفات اليه. او طمساً جزئياً، وفي هذه الحالة تكون العلمانية إلغاءً للدّين فيماعدا قضايا الاعتقادات الدينية الغيبية، او العبادات المحضة وطقوسها، مع بعض أحكام ومراسيم اخرى، وسلوك فردي خاص بمستلزمات الحرية الشخصية[113].

ويقول البوطي رحمه الله:

إن عرين العلمانية في مجتمعاتنا الإسلامية وسكّانها لاتخلوا في كل وقت وآن من مجاذيب او ربّه وعشّاقها، واولئك الاغبياء الذين ينقادون بزمام من السفاهة والذّل الى اتباع اوربة في جميع شؤنها وتصرفاتها. فقد ظهر في هذه المجتمعات من يدعوا الى اقامة انظمة الحكم في مجتمعاتنا الإسلامية على أساس تلك العلمانية التي التجأت اليها اوربة نجاةً وتخلصاً من مصائبها وآلامها بيد الكنيسة ورجالها المحرّفين.

(113) الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة. دار القلم، دمشق، طـ 5، 2012م، ص 162.

وما المسموع لهذا التقليد؟ وما العذر للعاشق يقلّد معشوقه. حتى في تجرع الدواء الذّي يتناوله لمرض المّ به، بينما يتمتع هذا بكامل العافية والسّلامة من هذا الدّاء الدّفين؟

انّ الفرق بين عقائد الكنيسة والعقائد الإسلامية واضح وضوح الشَمس في رابعة النهار. لأنّ العقائد الكنيسية تتفق في اي من جزئياتها وبنودها مع أصول المنطق وموازين العلم، بينما العقائد الإسلامية، تأبى على المسلم ان يقيم وجودها في فكره الاعلى بصيرة العلم والمنطق ونظام الكنيسة أعلن حرباً على العلم. واتباع سبيله، قضى في سبيلها على آلاف العلماء والباحثين، وجعل من البحث العلمي جريمة أخطر من جريمة الإلحاد والكفر بالله عز وجل. بينما يقضى نظام الإسلام باعطاء الزيادة في المجتمع للعلم واهله. ويجعل من البحث العلمي أقدس عبادة يتقرب بها المتعلّم الى الله. ان حسنت في ذلك نيته وسلم قصده وبعد عن أتباع هواه.

ثم انّ الدّيانة النّصرانية القائمة، محرفة مقتصرة بطبيعتها الواقعية اليوم على شؤون الاعتقاد ووصايا الاخلاق ليس فيها اي حكم يتعلق بنظام الدّولة او سياستها او شيء من قوانينها ودساتيرها. فكفّ يدها عن المجتمع وسياسته ونظامه. وحيل بينها وبين التجاوز الى ماليس من شأنها وليس داخلا في وظيفتها. اما الدّين الإسلامي ليس كذلك بل يحوي في اصله الى جانب مباديء الاعتقاد الأحكام التي تضبط شؤون الدّولة وتتكفّل باقامة انظمتها وقوانينها: فعجزه عن ممارسة صلاحياته ومسؤلياته في ذلك، تغير لجوهره وابطال لكثير من مضمونه، والتظاهر بالخضوع له بعد ذلك كذب عليه ومخادعة له ولمشرّعه[114]. وأرى إن تهميش الدّين عن السّياسة هدف أسمى للعلمانية واللشّيوعية بصورة خاصّة ولجيمع الماديين بصورة عامة، لأنّهم يعلمون جيداً، أن فصل الدّين عن الدولة يرحب ويوسّع الميدان لهم لتفعيل فكرتهم وتنشيط أهدافهم، كفصل الدّين عن الحياة ومعاداته، والإيمان بالمادة، بدل الإيمان بخالق الأرض والسموات، وتخدير الأمة عن كلّ المقدسات، والأخلاق الفاضلة، لتضليل المجتمع والتسلّط عليه، ورفض الإسلام وتحكيمه، في حياة الأفراد والمجتمع، وحاصل ما حصل وصلوا الى بعض أهدافهم الخبيثة، وآمالهم الشريرة، ولكن الذي نفرح به وجدير بنا ان نفرح به أنّ العلمانية والشّيوعية وباقي الأفكار الملحدة ذابو كذوبان الملح في الماء، وغابوا عن المجتمعات كالطير العنقاء وصاروا إسماً بلا مسمى.

(114) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات العاصرة. ص 321- 322.

وفهمنا من قول البوطي رحمه الله حصيلة مهمة وهي حصيلة الفرق بين ديانة النصرانية والدّين الإسلامي. انّ الدّيانة النصرانية منحصرة اليوم على شؤون الاعتقاد المنحرفة ووصايا الأخلاق المزّيفة بعد التحريف وليس فيها أي تعلق بنظام الدّولة وسياستها.

ولكن الدّين الإسلامي فيحوي في أصله المميزات التي يتميّز بها عن الديانة النصرانية كالأحكام التي تضبط مؤسسات الدولة ومسؤلياتها وقوانينها واقامة الحكومة العادلة وإقامة دولة الرّسول في المدينة على العقيدة الصحيحة والمباديء الجميلة الصادقة. ومما علمنا من الفرق بين الديانتين فأي علاقة، بل أي شبه بقى بين الإسلام والنّصرانية، حتى يستجير العقل ان نختلق في المجتمع الإسلامي مشكلة غير موجودة، وان نتوهم مأساة جعلنا الإسلام في مأمن و عافية منها، نبني على هذا الذي اختلقناه وتوهمناه دعوة وطلباً الى علمانية الدولة، المجرد ان تقر بذلك اعين المجاذيب مجاذيب اوربّة والمعذبين بحبها[115].

وحاصل ما حصل لنا ان العلمانية على قسمين رئيسيين: علمانية الحياد وعلمانية الكيد والعدوان، يعني علمانية الشرقية والعلمانية الغربية.

على ان علمانية او ربّة، علمانية حياد كما اوضحنا، على الرغم من المبررات التي اعذرتهم في الاقدام عليها، فهي ليست أكثر من تقسيم المجتمع ومرافق الحياة بين اصحاب الاختصاص، في نظرهم وبمقياس عقائدهم. اما العلمانية التي يدعو اليها هواة التقليد، وانما هي سلاح كيد للاسلام، وجسر ينصب الى حربه والقضاء عليه وتبعيده عن كل جوانب الحياة.

لقد أعلن مصطفى كمال على اعقاب الغاء الخلافة الإسلامية علمانية الدّولة، ولكن ليته التزم المضمون الاصطلاحي للعلمانية وليته سار في معاملته للإسلام كما تسير الدول الأوربية العلمانية في معاملتها للنصرانية غير ان الواقع انه اتخذ من كلمة سلاح حرب لأهبة شعواء ضدّ الإسلام بكل ما حواه من مبادئ وأحكام. شأنه في ذلك شأن كثيرين مثله انتهجوا نهجه واستهدفوا قصده.

ويقول البوطي رحمه الله للفت نظر القاريء بكلمة وجيزة الى ان تنفيذ مباديء العلمانية خطة استشراقية مدبرة في اوربّة كان لصالح كل من حياة الاوربيين ودينهم معاً. على حين اتخذ مضمونه الذي يتسلل به الينا موجب شرّ وضياع لكل من حياتنا وديننا فكيف كان ذلك؟ وكيف اختلف أثر

(115) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات العاصرة، ص 322- 323.

الشيء الواحد مابين امة واخرى؟ انها التعليمات الاستشراقية التي تستهلك الى رؤس كثير من المسلمين من خلال الدراسات الاجتماعية والتأريخية والفلسفية التي نشرواها فيما بيننا. فلقد قصدوا من خلال تلك الدراسات كلها ان يبثوا في أذهان المفتونين بالحضارة الغربية، انّ الغرب لم يستطع ان يتخلّص من تخلفه وينهض لنهضته العجيبة هذه إلا بعد ان تخفف من اثقال الدّين وتبعاته، عن طريق اصلاحات كثيرة منها اقامة الحياة العلمانية وذلك يعني ان المسلمين أيضاً لن يستطيعوا التّخلص من تخلفهم إلا إذا اقتدوا بسادتهم الغربيين فتخففوا هم أيضاً من اثقال دينهم وتعاليمه واقاموا حياتهم الإجتماعية على مزيد من الحرية واسبابها[116].

ويقول البوطي رحمه الله، ليت مجاذيب الغرب من مغفّلي المسلمين يتفكرون بعقولهم الحرة لعلموا ان المستشرقين لم تكن قلوبهم يوماً مّا متحرقة على حال المسلمين متألمة لتخلفهم مهمته بتقديم العون لهم، وانّهم يعلمون ان اليقظة الإسلامية المرتقية هي الحاجز الوحيد الحصين الذي سيصدّهم عن الهيمنة علينا واستغلال خيراتنا وتجميد ثرواتنا وتفتيت وحدتنا. وانّهم من أجل ذلك يلبسون امامنا مسوح الناصحين ومظاهر العلماء المخلصين والباحثين المثاليين مصوّبين اسهمهم من منطلقات شتى الى الإسلام متمثلاً في عقائده وأحكامه وشرائعه.

وليت هؤلاء المجاذيب يعلمون ان التخلص من بلاء الرأسمالية التي هي من أخطر كلاليب الإستعمال، لا يكون بالإرتماء في احضان العدو المماثل، ولكنه يكون بالتحصن الحصين الحقيقي في حصن الإسلام.

هذا الدين الذي ينهض على أركان العلم، ويسير في اهله ساحة العز والرفعة، ويخلّصهم من ذل الضيعة والتبعية، ويجعلهم سادة اراضيهم وملاك ثرواتهم، وقادة الحضارة في عصرهم.

وحاصل ما علمنا من توضيح البوطي وزبدة القول، ان العلمانية الاوربية خطوة منظمة الى الإسلام في حين ان العلمانية التي يراد تطبيقها في المجتمعات الإسلامية خطوة منظمة الى اعتناق الإلحاد. وهذا هو الغرض من تطبيق العلمانية[117] كما هي مشاهد أمامنا.

---

(116) البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص 323- 324.

(117) البوطي، المصدر نفسه، ص 325.

ومما نرى من العلمانية اليوم اشهد شاهد على ذلك. من المجتمعات الإسلامية مع ان العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية مازالوا يتمسكون نوعاً ما بالإسلام ويقرون بالتوحيد ويؤمنون باليوم الآخر والبعث إلا ان موجة الإلحاد تهاجم عليهم من كل جانب، وتشكك ابنائهم في دينهم واخلاقهم وعقيدتهم، ويعبرون عن ذلك (بالعلمانية) تارةً (واللادينية) تارةً، وكل ذلك يعني الإلحاد الكفر بالله. ويردّ البوطي رحمه الله رداً ضمنياً للعلمانية في هذه العبارة الموجزة لحقائق موجزة.

ويقول: لا وجود للعلمانية ان لم تكن الحرية المطلقة سنداً لها.

أولها: ان العلمانية التي احدثتها خصومة العلم مع الكنيسة في الغرب، كانت ولا تزال سنداً قوياً لحقائق الإسلام ومبادئه. إذ في الوقت لوحق فيه العلم. ورجاله من قبل الكنيسة في الغرب بتهمة التجريم لهم لمخالفتهم العقائد التقليدية التي تنادى بها الكنيسة وتأمرّ بها، كان الإسلام يشد من ازر هؤلاء العلماء، ويدعوهم الى مزيد من البحث والعمق لأنّ العلم لاغيره هو رائد الفكر الإسلامي في طريق الوصول الى العقائد الإسلامية... ويفهم ذلك من خلال قوله تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً [118].

ولم نعثّر الى هذا اليوم على حقيقة علمية وصل الفكر العلمي فيها الى يقين، تخالف ايّاً من المباديء والعقائد الإسلامية التي جاء بها البيان السمّاوي او نبّهت اليها السُّنة الصّحيحة.

ومن أبرز الأدلة على هذه الحقيقة، انّ العلوم على اختلافها ازدهرت ازدهاراً كبيراً في المجتمعات الإسلامية، وعصر ما يسمّى بالعصر الذّهبي من تأريخ الحضارة الإسلامية، دون ايّ تناقض او خصومة بين مسيرة العلوم في طريقها الى مزيد من الازدهار، وبين شيء من المباديء او المعتقدات الإسلامية وهكذا يكون كما كان.

الحقيقة الثانية: ان علمانية الدّولة في المجتمعات الغربية ماينبغي ان تكون مكان استنكار. ذلك لأنّها تعني تحرر الدولة عن الضوابط والأحكام الكنيسية. ايثاراً لما يقتضيه مصلحتها ولما نستدعيه الحقائق العلمية التي لامفرّ من الاخذ بها حتمياً ولا سبيل لتجاهلها قطعاً.

(118) سورة الإسراء: 17/ 36.

الحقيقة الثالثة: هي أن للصهيونية العالمية تضيق قلباً اليوم بتنافي التّيارالإسلامي في المجتمعات الأوربية، وهو التيّار المؤلّف من الجاليات الإسلامية المستقرة اليوم في أواسط أوروبا وامريكا، ولعلّ الصهيونية العالميّة تظن انّ لهذا التيار دوراً مهماً في نتيجة الاستفتاءات التي تمت خلال العام المنصرم، بحثاً عن أولّ دولة تتسم اليوم بالارهاب.. ان ردّة الفعل التي ظهرت لضيقتها هذه تتمثل في السّعي الى الخصومات بين التيّارات الإسلامية التي تتحرك داخل المجتمعات الغربية وعلى بصيرة منها، وبين قيادات هذه المجتمعات وحكوماتها. ومما حصل لنا من هذه العبارة الرائعة للبوطي رحمه الله، انّ العلمانية ليست بديلة عن الإسلام ولا حلاً للمجتمعات كما يقولون، بل العلمانية ثولولة كبيرة على جسد المجتمعات[119]. وأرى أن العلمانية صارت سبباً لنشر الفوضى في العالم بأجمعها، وبث العداوة بين القوميات والجماعات، وبين الأديان والإتجاهات كما هو مشاهد ومرئي فيما بيننا من التفرقة والمخاصمة، والقتل والاستفزازات ومع هذا لا يستحيون من الله ولا من الناس يقولون بملء أفواههم تعالوا تمسكوا بالعلمانية لأنها بديل الإسلام لحلّ المشكلات، وعكسه صحيح لتوصيل الأهداف والغايات وتصليح المجتمعات، بعيداً عن هيمنة العلمانية والإلحاد.

2. 3. 2. ردّ البوطي رحمه الله على العلمانية وقولهم الحل الوحيد لمشاكل المجتمع العلمانية:

ويقول البوطي رحمه الله في ردّ العلمانيين لأغلوطة جديدة عنوانها: العلمانية هي الحل ولعلّكم جميعاً قرأتم كثيراً وسمعتم عن العلمانية يقولون لم يبق امام الناس حلٌ إلا الحلّ الوحيد الذي لا بديل عنه. الا وهو اللجوء الى العلمانية. ونسئل أنفسنا والواقع الحالي هل هذا التّصور والتفكّر صحيح؟ وهل العلمانية تحل المشكلات التي نعاني منها فعلاً؟

ليس الأمر كذلك لأنّ الواقع المشاهد الذي نحن فيه ونرى بأعيننا شاهداً على عدم صدق هذا الكلام المزخرف بزخرفة العدالة والديمقراطية والإنسانية. وهذا ما ستبين لكم ان شاء الله تعالى لدى النقاش العلمي الموضوعي الذي نرجو ان يوفقنا الله سبحانه وتعالى له.

ولكن قبل كلّ شيء لابدّ ان نمر بمسئلة لغوية، هل هي عِلمانية بكسر العين او عَلمانية بفتح العين، من المعلوم ان كثيراً ممن يناقشون لها اويدعون اليها، ويفلسفونها، ينطقونها بفتح العين.

(119) البوطي، الاسلام والغرب، ص 176- 180.

وأكثر هذا الإستعمال انّنا يأتي من شمال افريقيا، فاهل المغرب هم الذين يؤثرون أن ينطقوا بها مفتوحة العين ويلحون على أن هذا هو التعبير الصحيح. وأنها بكسر العين لا تدل على المعنى المطلوب والذي تبيّن لي بعد التمحيص، انّ العلمانية نسبة الى العلم بكسر العين على انها نسبة على غير بابها. إذ الاصل ان يقال: علمي. ولم أجد في اللغة العربية بشيء اسمه العَلم بفتح العين ما يتعلق بموضوعنا هذا وانما يقال: عَلِمَ علْماً من باب تعب، اي إنشقت شفته العليا، والوصف منه للرجل: أعْلَمْ، وللمرأة عَلْماء. يقول الامام محمود الزمخشري في قصيدة له معروفة: وفيها يتبيّن المعنى اللغوي لكلمة اَعْلَمْ:

ومذ أفلح الجهّال ايقنت انّني

انالميم والايام أفلح اَعْلَمْ

أي فهو كالميم الّتي لاتستبين إذ يحاول ان ينطق بها صاحب الشفتين المشقوقتين. فكلمة الاعْلَمْ إذن اسم لمن شقت شفته العليا والعلم مصدر منه. فما معنى النسبة اليه في المجال الذي نحن بصدده؟

اعتقد انّ هذه الكلمة بهذا الشكل لم تأخذ اجازة مرور من ايّ مجمع من المجامع العلمية والعربية قط. فكلمة العلمانية انّما انتشرت في البلاد العربية والإسلامية بكسر العين، تعبيراً عن هذا التّوجه الذي ظهر باديء بدءٍ في اوروبا، نتيجة للخصام الذي قام هناك بين العلم والدّين. ثم الثورة التي هجمت سلطان الدّين تفصيلاً للعلم وانتصاراً لأحكامه[120]. وأرى أن ما نسمع من أقوال النّاس إنّ العلمانية وان كانت لا تعترف بالدّين مطلقاً، سواء كان الدّين الإسلامي أو أيّ دين من الأديان ولكن لا نحاربهم، وهذا التّصور خاطئ، وسترة لعطاء عقل أعضائها وتحذيرٌ لأفكار أفرادهم، رشوة وتحفة للذين يريدون الإعتناق للعلمانية، ويتبين لنا تبين ظهور الشمس في رابعة النّهار انّ العلمانية منهج محارب لكلّ الأديان وخاصة الدين الإسلامي، ودائماً تحاول تبعيد الدين في الحكم وإدارة الدّولة، ولكن العلم والعملية، حقيقة تحاول معرفة الأشياء والقوانين التي تعمل الدّولة عليها، وعلمنا ان التساوي بين مفهوم العلمانية نسبة الى العلم، وبين العلم، بعيد كبعد الأرض والسماء عن الحقيقة.

(120) البوطي، محمد سعيد رمضان. يغالطونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق 2010م، ص 35- 37.

ويقول البوطي رحمه الله، بعد تصحيح كلمة العلمانية من جانبها اللغوية لطريقة النطق بهذه الكلمة وفي ردّه للعلمانيين في قولهم العلمانية هي الحل للمجتمعات:

لا شك انّ الدعوة الى هذا الحلّ، عن طريق العلمانية، انـّما هو ادّعاء بلا دليل مقنع وتقليد واضح لموقف الغرب من الدّين الذي يتعامل معه ويأخذ نفسه به، ولا داعي الى ان تنفتح ملف الحديث عن تأريخ علاقة الغرب بالدّين، كيف كانت هيمنة الكنيسة على الغرب؟!

ثم كيف تقلصت هذه الهيمنة، ثم ازدادت تقلصاً ثم وصل الأمر الى أن تمت القسمة على أساس انّ المجتمع ينبغي أن ينهج منهجاً علمانياً او علمياً!: ولا بد لكي ينهج هذا المنهج ان تحجّم الكنيسة ضمن صلاحيات محددة معيّنة، امام نظام الدولة، ودستورها وأنشطتها السياسية والإقتصادية والاجتماعية والسّلوكية فينبغي ان يؤل أمر ذلك كلـّه إلى سلطان العلم وسلطان الثقافات المختلفة المتنوعة. هذا هو موقف الغرب من الدّين وهو الموقف الذّي يعبّر عنه اليوم بالعلمانية بصورة عامة[121].

نعم لو انّ دعاة العلمانية بدؤوا قبل كل شيء، فتجرّؤوا وبرهنوا على أنّ الإسلام ليس حقيقة من الحقائق الكونية الثابتة، وانـّه في مصدره وأحكامه ليس إلا وهماً من الأوهام، وركاماً من أفكار (رجال الدين) كما يقولون المسلمين شأنه كشأن الركام الذي استيقنه الغربيون عن الكنيسة وتأريخها، اقوال لو انّ دعاة العلمانية بدؤوا فبرهنوا على هذه الدعوى: إذن لعلمنا انهم غيارى على العلم حقاً، ولناقشناهم عندئذ عنّ حقيقة الإسلام ومصدره، وهو حقاً موضعات وأفكار بشرية كأفكار العلمانية أم هو خطاب الله وحكمه[122].

وحاصل ما فهمنا في هذه العبارة الجميلة والخلابة خلق الله الإنسان، وجهزّه بحقيقتين عظيمتين هما العقل والقلب وأقام كلا منهما على وظيفته لايتأتى أن يقوم بها غيره، ولايصلح من دون تحقيقها شيء من أمر الدنيا أو الآخرة.

(121) البوطي ،المصدر نفسه، ص 37- 38.

(122) البوطي، يغالطونك إذ يقولون، ص 39.

اما العقل، فوظيفته أن يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها، وان يستدل بظواهر الأمور على ماوراءها، وأن يتوصّل من وراءِ ذلك الى معرفة الله عزّ وجل، وإلى الإيمان بوحدانيته وربوبيته المطبقة.

وأما القلب فوظيفته ان يسير من وراء هدى العقل، فيحب الخير الّذي اثبت العقل انّه خير ويكره الشر الذي اثبت العقل انه شر. وملاك ذلك كله في محبة الله عز وجل ومحبة رسوله.

أيها العلميانية: ينبغي لكم تفكروّا بقلوبكم وعقلكم ان لعمارة الكون وتحقيق النّظام فيه من عمل كل من هذين الجهازين، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس واهواؤها، بخفقات القلب و عواطفها، ولتلاقي السفل والعلو على ايقاد شرّ مستطير من شأنه ان يفسد كل شيء في حياة الإنسان في الدنيا والاخرة كما أشار القرآن به في قوله تعالى: بَلْ اَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ[123].

ولولا القلب والعقل، لما وجد الخير إلا في دنيا الوهم والخيال. ولظل بنيان الفضائل والمثل الأعلى مجرد رسوم وخطوط على الورق، أو كلمات وجمل حلـّوة على الشفاه...

فالعقل إذ هو القدرة الكاشفة والمخططة، والقلب هو القوة الدافعة والمحركة، ولابد في عمل او بناء من التخطيط المنظم له أولاً ثم الأداة المنفذة له ثانياً. وبسبب أن الإسلام هو جامع الفضائل كلـّها، فقد كان لابد لتحقيقه من الإعتماد على كلا هذين الجهازين العظيمين. فمن أجل ذلك جاء الإسلام يخاطب العقل والقلب معاً. يخاطب العقل ليدرك ويتدبر، ويخاطب القلب ليحب ويتأثر ومن لم يتفكر بقلبه ولم يعمل بعقله يفعل ما يفعل وهو في غيبوبة عن حياته وَهائِمُ بِلا قـّصدٍ في أفعالِهِ وَاهدافِهِ وحاله كحالِ مَنْ يَذْهَبُ في طَريق مِنَ الطُّروق ولايَعْلَمُ هَدَفَهُ ولَمْ يكن ذّهابُه على بَصرةٍ واتقانٍ[124] ويقال له الهائم لأن سعيه عبث ليس له ثمرة يستفاد منها.

ويقول البوطي رحمه الله، فيما سمع من بعض دعاة العلمانية بقوله:

انّ دعاة العلمانية يقولون خدعة في كلامهم. نحن لا ننكر الدّين، ولكنّنا نقول: ينبغي أن يكون صلاحية الدّين محجمة محصورة في الأمور الروحانية، وفي التربية الوجدانية التّي تجعل القلب

(123) سورة المؤمنون: 23/ 71.

(124) البوطي، محمد سعيد رمضان. إحياء جوهر الاسلام في حياة المسلمين. دار الفكر، دمشق 2016م، ص 39-40.

يفيض حباً لله وخوفاً منه، وهذا يمكن ان يؤدّي وظيفة كبرى و في حياة الإنسان الفرد مع ذاته، ولا داعي الى ان يخمّل الدّين مزيداً على ذلك من الأنظمة السياسيّة والإجتماعية والثقافية والإقتصادية.

ويقول البوطي رحمه الله، في جوابهم لمقالهم بقوله:

أقول لهم في هذه الحالة: إذا كانت وظيفة الدّين محصورة في هذا كما تقولون يادعاة العلمانية، فلقد كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عبثاً إذاً لأنّ ما بعث به سيّدنا عيسى عليه الصّلاة والسلام كاف لهذا الذي تقولون كله. فان المشاعر الوجدانية والمعاني الروحانية التي نريد ان نجعلها الوظيفة الوحيدة للدّين، كفيلة بها بعثة عيسى عليه الصّلاة والسّلام. اي انّ تعاليمه كافية ووافية بذلك فلماذا بعث محمد عليه الصّلاة والسّلام بعد ذلك؟

انّ ما تضمّنه القرآن يوضّح الجواب عن ذلك فمحمد (صلى الله عليه وسلّم) بعث مؤكداً العقيدة التي بعث بها سائر الرسل والانبياء. فمعنى ذلك أنهم يصرّون على ان يتجاهلوا بعثة محمد عليه الصّلاة والسّلام. وما اعتقد انّ فينا او في الّذين يدّعون هذا الحل، مَنْ يستطيعون ان يقولوا: انّ محمداً لايوجد في التأريخ او انّ بعثته ليست حقيقة، ذلك ان هؤلاء يقولون بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم).

إذاً مالفرق بين رسالتي هذين النبيين العظيمين، محمّد وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام؟ وتبيّن لنا أن العلمانية ليس حلاً للمجتمعات كما تقولون انّنا لنعلم ان العقيدة التي بعث بها الرسل والانبياء واحدة الا وهي التوّحيد وتذكير البشرية بوجود الصانع، و بوجود الخالق[125]. ويتبين في قوله سبحانه وتعالىشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ مَا وَصّى بِهِ نُوحاً وَالّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ اِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى اَنْ اَقِيمُوا الدّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ اِلَيْهِ اللّٰهُ يَجْتَبِي اِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي اِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ [126].

إذن: بماذا تميزت رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي بعث الى الناس كافة عن رسائل السابقين الذين كان يبعث كل واحد منهم الى قومه وامته؟ تتميّزت بالاتساع التشريعي، الّذي ضمن ان تقوم الدولة على أسس دينية، وعلى دستور إسلامي وعلى ضوابط وأحكام وأنظمة اسلامية.

(125) البوطي، محمد سعيد رمضان. يغالطونك إذ يقولون، ص 48- 50.

(126) سورة الشورى، الآية: 42/ 13.

وهذا الشيء نعرفه ونراه واضحاً في الفترة التي استقرّ المقام فيها برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة، كانت له شخصيّتان آنذاك. شخصية النّبي المبلّغ عن الله، وشخصية رئيس الدولة بما سُمّيته الفقهاء أحكام الإمامة والسياسة الشرعية والبنود الإدارية.

قد فهمنا وعلمنا مما سبق أنّ الإسلام ليس من صنعة البشر، بل هو وحي منزّل من عند الله بكل مافيها من المباديء والتشريعات إذن فانّنا لانستطيع ان نتّبع خطا الغربيين في العلمانية التي اعتنقوها لأنّ الاختلاف بيننا وبينهم اختلاف النقيض مع النقيض. لأن الإسلام هنا ليس كالمسيحية هناك وإذا كان الأمر كذلك، فان دعاة العلمانية لايملكون إلاّ خيارين اثنين: امّا ان يقولوا لنا بكل جرأة: انّهم يريدون ان يتبرّؤا من هذه الحقيقة الإسلامية التي لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وانهم يريدون ان يتنكّروا لها رغم حقيقتها!... يريدون أن يقفزوا فوقها رغم انّها حقيقة علمية مسلمة! وامّا أنّهم لايريدون ان ينكروا حقائق الإسلام وجوهره المتمثل في الوحي الالهي، وانهم يذعنون له حقيقة علمية ثابتة. إذن فلا بد ان يعترفوا بأن الإسلام كل يتجزء ومن هذا يلزم ان يكون اليه حل المعضلات السياسية، وحل المعضلات العلمية، وحل المعضلات الاجتماعية والثقافية والإقتصادية على اختلافها... إذ تلك هي مشيئة ربّ الإسلام ذاته. وهكذا يقول قرأنه وبذلك يأمر خطابه.

ويقول البوطي رحمه الله، في ردّ القائلين انّ العلمانية هي الحلّ في هذه العبارة التالية بقوله:

اعتقد انّ هذه محاكمة علمية ومنطقية لاتخضع لأيّ ريب.. غير انّ النقطة الهامة، في هذا الموضوع يتمثل في الاجابة عن السؤال التالي الذي لابد ان نصرحه على العلمانيين القائلين بانّ العلمانية هي الحل، وهو: هي الحل فرضاً لماذا؟ وذلك في تصوّرهم انّ الناس رأوا انّ اوربا لم يتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف اسرار الحياة إلاّ بعد ان ترك أفكار الكنيسة وعقائدها وفي تصورهم ان الحل هو اقتران القوة المادية بالإلحاد.

ولابد ان يأتي الجواب: هي الحل لمشكلاتنا. والسؤال الذي يردّ عندئذ:

ما هي المشكلات التي عجز الإسلام خلال قرونه الطويلة عن حلّها؟ كما يقولون، ومتى ثبت انّ العلمانية هي القادرة على حلّ تلك المشكلات؟

هذا السؤال مطروح، ولا بد من الاجابة عنه، مع يقيننا بأن المشكلات التي تطوف باذهاننا جميعاً كثيرة ومتنوعة. ولكن ماهي هذه المشكلات التي لم يكن لهم حل في الإسلام، ومتى ثبت عجز الإسلام عن حلّها؟ ثم متى ثبت انّ حلّها موفور وموجود وجاهز بيد العلمانية المهشوشة؟ هيهات هيهات لماتوعدون[127].

(127) البوطي، يغالطونك إذ يقولون. ص 50- 51.

الخاتمة والنتائج

قد توصلت من خلال هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات، أهمها هي:

ـ العقيدة لها معنيان: معنى عام يشتمل كل عقيدة، ومعنى خاص بالعقيدة الإسلامية. العقيدة في الاصطلاح العام هي الإيمان واليقين الجازم الّذي لايتطرّق اليه شكّ لدى معتقده، سواء أكان هذا الاعتقاد حقاً كالعقيدة الإسلامية او باطلاً كالعقيدة الإلحادية واللادينية.

العقيدة الإسلامية هي: التصديق الجازم بكلّ ماورد في نصوص القرآن والسنة الصحيحة من امور الغيب، وماثبت بالدليل القطعي من المسائل العلمية التي صحّ بها الخبر عن الله ورسوله، وما اجمع عليه السّلف من قضايا الاعتقاد المطابق للواقع الناشيء عن دليل، مع تسليم القلب لله تعالى ورسوله في الحكم والأمر والشرع والمحبة.

في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم كثرت الشبهات والبدع وانتشر الإختلاف بين العلماء، لذا قام العلماء بتدوين قواعد علم الكلام لدفع شبه الخصوم، وردّهم الى الصواب والفكر السليم. وكان الأصل في تقرير العقيدة هو علم الكلام.

علم الكلام وسيلة لاثبات العقائد الدينية، والدفاع عنها ضد شبهات الملحدين والمخالفين، فهو يقوم بعملين مهمّين. يقرّر العقائد بطريقة معيّنة، ويدافع عن العقيدة بردّ الشبه والشكوك.

ومن خلال هذا البحثت توصلت إلى أنّ تخلّفنا هو الابتعاد عن الأخلاق الإسلامية واستيراد قيم مقطوعة الصّلة بالإسلام وحضارته وثقافته كالإلحاد وماشابهه من الأفكار اللادينية. أنّ أوضاع المسلمين اليوم في أنحاء الدنيا سيء. وهذا لايعود الى تمسكهم بالدّين، كما يقول الملحدون بل بالعكس بعدهم عن الدّين. لذا فهم متخلفون. ويوم ان تمسّكوا بدينهم كانو حسب زمانهم أمة متقدمة، ولا طريق الى الحضارة والترقي إلا بالرجوع الى عقيدة الإسلام والإعراض عن الإلحاد والأفكار المخترعة من جانب البشر، والرجوع الى العقيدة الصّحيحة المستنبطة من الكتاب والسنّة المطهرة وعن الأفكار المهزوزة الوهميّة المنهارة وتصنيع حضارة ايمانية صادقة، ومتينة بعيدة عن التفرقة والتشتت وبعيدة عن الجور والتسلط.

لأن الحضارة بدون ايمان قريب من الانهيار، ولأنّ عدم الإيمان بالله تعالى وبمنهجه يؤدي الى حدوث طوفان الإنحراف والشذوذ وتعاطي المخدرات والتي بدوره يؤدي الى اضطرابات عقلية ونفسية كل ذلك يؤدّي الى النخر في جسم الحضارة والمادية.

الإسلام ضد الفساد، ومع الإصلاح فحرم كل العوامل التي تؤدي الى هدم الحضارات واوجب الإصلاح. وهذا النمط شعار الانبياء عليهم الصلاة والسّلام.

نوصي في نهاية البحث بما يأتي:

- الدعوة الى العودة بالأمة الى اخذ العقائد من الكتاب والسنـّة والإجماع والعقل الصريح الصحيح.

- توجيه الأمة بالحذر من الذوبان والتبعية والتشرد والضّياع والاستراد السّهل للمباديء الهدّامة.

- مطالبة الأمة الإسلامية بأن تأخذ من الحضارات الأخرى ما هو صالح ونافع ومفيد.

- الدعوة الى ازالة كل الأحقاد والعصبيّات والعنصريّات والكراهيّة بين النّاس ويؤسّس مبدأ التّعارف بين الامم والشّعوب والحضارات (ليتعارفوا) لأنّ التـّعارف له دور في قلع النزاع من جزوره والصدام بين الأمم والحضارات.

- توجيه الأمّة بالإصلاح في جميع مرافق الحياة بما فيها الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي والسّياسي.

- القيام بحملة التحصين والتصليح ضدّ الأفكار المحرّفة على المجتمع من عوامل الانحراف والإنزلاق عند التيارات والأفكار الهدّامة، خاصـّة ميليشيات الإلحاد المتمردين عن الدّين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

آق باوت، شمس الدين، داروين ونظرية التطور ترجمة من التركية اورخان محمد علي، ط الزهراء، موصل 1984م.

البدوي، عبد الرحمن، الفلسفة الوجودية، ط 3، بيروت 1973م.

البدوي، عبد الرحمن، من تأريخ الإلحاد في الإسلام. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط 2/ 1080.

البغدادي، فرحان، علماء الطبيعة والإيمان بالله. ط2/ الميناء بغداد 1978م.

بكر، علا، مذاهب فكرية في الميزان، الأسكندرية. ط 2001.

البوطي، محمد سعيد رمضان وهانزكينغ، دور الأديان في السلام العالمي. دار الفكر، دمشق ط 2011م.

البوطى، مشكلاتنا، مكتبة الفارابي، دمشق ط 4/ 1995م.

البوطى، احياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين. دار الفكر ط 2016م.

البوطى، البدايات باكورة اعمالي الفكرية. دار الفكر، دمشق 2010م.

البوطى، التغير مفهومه وطرائقه. وجودت سعيد. دار الفكر، دمشق 1995م.

البوطى، الدعوة والجهاد والإسلام السياسي. هشام عليوان وفادي الغوش. ط- بيروت 2013.

البوطى، الظلاميون والنورانيون. دار الفكر. دمشق 2010.

البوطى، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر. مؤسسة الوحدة. دمشق 1982.

البوطى، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. دار الفكر، دمشق، ط 2009.

البوطى،الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق 2007م.

البوطى، مدخل الى فهم الجذور دار الفكر، دمشق 2006 م.

البوطى، من الفكر والقلب، مكتبة الفارابي، دمشق 1999م.

البوطى، نقض اوهام المادية الجدلية، دار الفكر، دمشق 1979م.

البوطي، يغالطونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق 2010م.

البوطى، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية، دار الفكر، دمشق 1986م.

البوطى، كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، دار الفكر، دمشق 1997م

البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق- سوريا، رقم التداول 4300، ابحاث في القمة 3.

بيجوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، طـ 1/ مؤسسة العلم الحديث، بيروت 1992م.

الجهني، مانع بن حمّاد، الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة دار الندوة العالمية، طـ 5، 2003م.

الحجوري، أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد، معجم المصطلحات العصرية، دار الآثار القاهرة 2013.

خربوعي، امين بن عبد الهادي، كيف تحاور ملحداً؟ دار وقف دلائل للنشر، الرياض، طـ 2/ 1438هـ.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت- لبنان 2008م.

الشوكانى، ارشاد الفحول، الى تحقيق علم الأصول، دار المعرفة، بيروت 1979م.

صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ذوالقربى، قم- طهران، 1385/ ج1.

الطائي، كمال الدين، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة. سلمان الأعظمي- بغداد، ط 1972م.

الطّحان، احمد خالد، مواجهة الإلحاد، موقع الآلوكة المكة المكرمة 2018م.

طعيمة، صابر عبد الرحمن ، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ط 1/ دار الجيل، بيروت 2004.

الطُيّار، أحمد بن ناصر، قصصي مع الملحدين، دار الحجاز، الرياض، ط1، 1439.

عليان، رشدي محمد ، وقحطان عبد الرحمن ،أصول الدين الإسلامي، دار الامام الأعظم، بيروت ط 2011م.

عليوان ، هشام و فادي الغوش، البوطي، الدعوة والجهاد والإسلام السياسي، ط بيروت، 2013م،

كاريوهنت، ر، ن، قاموس الشيوعية، ترجمة عمر الاسكندري، دار الكتاب المصري، ط 1956م.

المعرى، ابو علاء ، ديوان، مؤسسة النّور، بيروت-لبنان 1999م.

معلوف، لويس ، المنجد في اللغة والاعلام، دار الشرق، بيروت ط 38/ 2000م.

منظور، ابن، لسان العرب، دار الحديث القاهرة. ط 2003، ج3.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، كواشف زيوف. دار القلم، دمشق، ط2/ 1991م.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنّكة ، الكيد الأحمر، دار القلم، دمشق ط4/ 2012م.

نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلّى في عصر العلم، مؤسسة الحلبي، ط 3/ 1967م.

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	**Mahmood Khalid HUSSEIN**
Doğum Yeri	**ERBİL/IRAQ**
Doğum Tarihi	**01.07. 1964**

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**Musul Üniversitesi**
Fakülte	**İmam Azam Fakültesi**
Bölüm	**İslami İlimler (Dava Bölümü)**

YABANCI DİL BİLGİSİ

İngilizce	**KPDS (…..) ÜDS (….) TOEFL (….) EILTS (….)**
…	

İŞ DENEYİMİ

Çalıştığı Kurum	**Evkaf Bakanlığı**
Görevi/Pozisyonu	**İmam-Hatip**
Tecrübe Süresi	**20 yıl**

KATILDIĞI

Kurslar	
Projeler	

İLETİŞİM

Adres	**Erbil- Irak**
E-mail	**mahmudkhalidhusen@gmail.com**